وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

البعد الإصلاحي في كتاب الفصيح في فن المراسلة

لإبراهيم بوحميدة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر أكاديمي تخصص:

أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

-بونوة جمعة

-لشهب التالية

تحت إشراف الدكتورة:

الشامخة خديجة

اسم الأستاذ ولقبه	الدرجة الأكاديمية	الصفة في اللجنة
د/الحاج يحي	أستاذ محاضر قسم أ جامعة غرداية	رئيسا
د/الشامخة خديجة	أستاذ محاضر قسم أ جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د/حمودة مصطفى	أستاذ محاضر قسم أ جامعة غرداية	مناقشا

السنة الجامعية: 1437-1438هـ/2016-2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

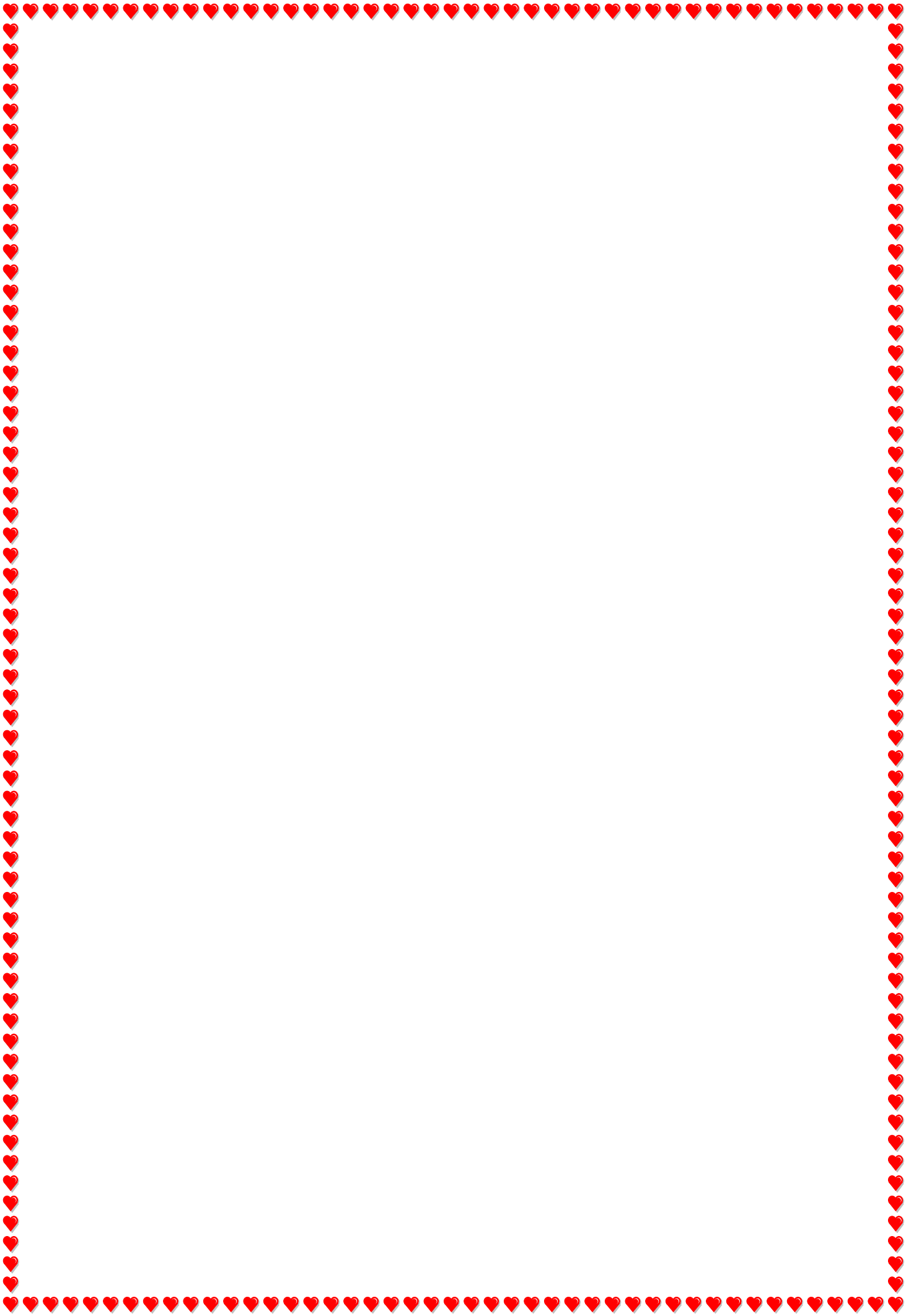

إهداء

إلى كل من وقفوا بجانبي

عوناً وسؤدداً

إلى أمي أبي نبع العطاء

إلى زوجي بونوة سر الوفاء

وابنتي ياسمين نور العين

إلى أختي الصبورة خيرة

إلى إخواتي

إلى كل الأهل والأصدقاء

إلى زميلتي المتواضعة التالية

أهدي ثمرة هذا البحث

♥ بونوة جمعة ♥

إهداء

إلى أمي وأبي رمز الحب والعطاء

إلى زوجي وشريك حياتي

عبد القادر

إلى كل الإخوة والأخوات

إلى كلّ الأصدقاء

إلى زميلتي المتميزة جمعة

أهدي ثمرة هذا البحث

♥ التالية لشهب♥

شكر و عرفان

شكر وعرفان لله عز وجل الذي رزقنا العقل وحسن التوكل عليه أحمده وأشكره على نعمه وحسن عونه،وللمقتفى المصطفى خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليه .

ولأستاذتنا ومشرفتنا الدكتورة الشامخة خديجة شكر وعرفان على قبول الإشراف وعلى حكمة ملاحظاتها وتوجيهاتها التي كانت نورا تسير على ضوئه خطواتنا .

ولي جميع أساتذتنا بجامعة غرداية كلية الآداب واللغات نزف شكرا وعرفانا، ودون أن ننسى كلّ عمال مكتبة الآداب واللغات على تعاونهم معنا .

والحمد لله من قبل ومن بعد.

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه لجلال وجه وعظيم سلطانه،والصلاة والسلام على النبي الكريم وأصحابه الغرّ الميامين.

انصبت جلّ الجهود الأدبية والنقدية إلى فن القصة والرواية،وقد قابل هذا الاهتمام المبالغ فيه عزوف عن دراسة الفنون النثرية الأخرى التي لا تقل أهميتها شكلاً ومضموناً عن الفنين المذكورين.والرسالة من أكثر الفنون إهمالاً فقد غضّ الطرف عنها وباتت تلازمها صفة التقليد عند الإشارة إليها.

ويرجع هذا الإهمال في تقديرنا إلى سببين: التأثر البالغ بالمناهج النصية الحديثة الملغية للمضمون على حساب الشكل والتي لا يهمّها ما يريد الكاتب قوله بل كيف قال ذلك أي؛القالب الذي وضع فيه فكرته،والرسالة فنّ مميّز بشقّيه الموضوعي والفني على السواء،وأمّا السبب الثاني فيتجلى في التطور التكنولوجي الذي يشهده العالم حاليا حيث أن الأديب لم يعد في حاجة إلى كتابة رسالة بصفة خطية إنما صار يكتبها مختصرة،ما أفقد مكانة ووجود هذا الفن.

وقد وقع اختيارنا على أديب من الأدباء المحليين الذين أصابهم مرض التهميش محاولين تسليط الضوء على أدبه وإحاطته ببعض العناية،وبناء على ما سبق عنونا بحثنا بـــــــــ:**البعد الإصلاحي في كتاب الفصيح في فن المراسلة لإبراهيم بوحميدة.**

منطلقين في عنواننا هذا من الإشكالات التالية:كيف تجلّى الإصلاح في رسائل إبراهيم بوحميدة؟وما هي المجالات التي مسّها هذا الإصلاح؟

وهل ظل التقليد صفة ملازمة لهذا الفن النثري؟ وما أضفاه الأديب على هذا الفن؟

وللإجابة على هذه الإشكالات اتبعنا خطة مكوّنة من مقدمة وتمهيد لخّص الجانب النظري باحتوائه على تعريف الرسالة لغة واصطلاحا وقدّمنا فيه لمحة تاريخية عن فن الرسالة واحتوى أيضا على أنواع الرسائل واتجاهاتها،ثم تلا المقدمة والتمهيد فصلين تطبيقيين :

أمّا الفصل الأول فعنوناه بـــــــ:الدراسة الفنية للرسائل،وضمّ أربعة مباحث في المبحث الأول عرّفنا بالمدونة لنذرتها لا يمكن الحصول عليها بصيغة pdf،لوضع القارئ في

الصورة.والمبحث الثاني تطرّقنا فيه إلى المعمارية ؛كيف صيغت كلّ من المقدمة والعرض والخاتمة،وفي المبحث الثالث درسنا اللغة والأسلوب من حيث البساطة والتعقيد،وتناولنا بالدراسة في المبحث الرابع الاقتباس والتضمين .

هذا وقد حمل الفصل الثاني عنوان تجليات البعد الإصلاحي في رسائل إبراهيم بوحميدة،واشتمل على ثلاثة مباحث تناولنا في الأول الإصلاح الاجتماعي بصفته إصلاحا جذريا،وفي المبحث الثاني تناولنا البعد الديني من ناحية العبادات والعلاقات،هذا وقد حمل المبحث الثالث عنوان البعد التربوي التعليمي .

وأتممنا مسيرتنا البحثية المتواضعة والتمام لله عزّ وجل بخاتمة احتوت أهم النتائج المتوصّل إليها.

ومن أهم دوافع انتقاءنا لهذا الموضوع الرغبة في تناول موضوع جديد في الساحة الجامعية وتحقيق أهم شروط الاختيار ألا وهو الجدة، وتسليط الضوء على أحد الأدباء المحليين المهمّشين .

إعادة الاعتبار للمضمون وتأكيد مقولة ضرورة النفع بالأدب ونفي الاقتصار على الوظيفة الجمالية التي أضحت هدف كلّ دراسة أدبية أكاديمية.

اعتمدنا على آلية الوصف في التعريف بالمدونة،وآلية التحليل في بقية المباحث؛فاستعنا بها لتحليل النماذج بغية الوصول إلى الأبعاد والفنيات المراد استنباطها .

ومن الدراسات السابقة التي كانت لنا عونا :فهد خليل زايد في مؤلفه الكتابة فنونها وأفنانها،وجميل إبراهيم علوش من خلال مؤلفه الفصول في الكتابة الأدبية .

ومن المراجع التي أفادتنا كثيرا نذكر أهمها:

-صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لـــ:القلقشندي .

-الرسائل الأدبية لـــ:. صالح بن رمضان .

-أدب الرسائل في الأندلس لـــ:عبد النبي القيسي.

-تطور النثر الجزائري الحديث لـــ:عبد الله ركيبي.

وبحثنا كسائر البحوث لم يخل من بعض الصعوبات كان في مقدمتها صعوبة الفصل بين الموضوعات الإصلاحية لوشيجية العلاقة بينها،وكذا تعدّد الأبعاد في الرسالة الواحدة ما أدى إلى ضرورة تكرار بعض النماذج،ونذرة الدراسات التطبيقية لهذا الفن خاصة في الجزائر.

ولا يسعنا في ختام هذه المقدمة سوى التقدّم بجزيل الشكر والامتنان لكلّ من أمدّ لنا يد العون من قريب أو من بعيد،ونخصّ بالذكر الدكتورة المشرفة المعطاءة خديجة الشامخة التي كانت لنا العون والمنهج والسند نتمنى من العلي القدير أن يلهمها ويلهمنا التوفيق والسداد .

ونعتذر عن كلّ نقص شاب هذه المذكرة المتواضعة،وإلى كلّ قطرة من قطرات الحبر التي كانت نابعة من تجربة وخبرة الأستاذ إبراهيم بوحميدة.

بتاريخ: 2017/05/13

تعتبر الرسائل إلى جانب الخطب من أشرف مواضيع النثر على حدّ قول صاحب صبح الأعشى وهي عبارة عن قطعة من النثر الفني،تطول أو تقصر لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببًا،وقد تكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق،وألفاظ منتقاة،ومعان طريفة.[1]

"والرسالة على اختلاف أنواعها وأقسامها هي كلّ ما يرسل من شخص إلى آخر مشافهة أوكتابة في موضوع من الموضوعات العامة أوالخاصة وفقا لهوية المرسل إليه وموقعه وطبيعة العلاقة بينهما".[2]

وأمّا في اللغة فقد ورد في لسان العرب:"والترسّل من الرِّسل في الأمور والمنطق كالتَمهّل والتوقُّرِ و التثبُّت،وجمع الرّسالة الرسائل ،قال ابن جنْبة:الترسّل في الكلام التوقّر والتَفهّم والترفّق من غير أن يرفع صوته شديداً...والإرسال التوجيه،وقد أرسل إليه،والاسم الرِّسالة والرَّسالة والرسول والرَّسيل الأخيرة عن ثعلب،وأنشد :

لقد كذب الواشون ما بُحت عندهم *** بليْلى،ولا أرسلتهم برَّسيل

ويقال:هي رّسولك.وتراسل القوم:أرسل بعضهم إلى بعض.والرَّسول:الرسالة والمرسَل".[3]

[1] ينظر:فهد خليل زايد ،الكتابة فنونها و أفنانها،دار يافا العلمية،عمان،ط1، 2009،ص57

[2] داود غطاشة الشوابكة وآخر،دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية،دار الفكر،عمان،ط 1،2009،ص43.

[3] ابن منظور ،لسان العرب،دار صادر،بيروت،(دط)،(دت)،مج11، ص283.

أ/لمحة تاريخية عن أدب الرسائل:

إنّ الوجود الفعلي لفن الرسالة كان في العصر الإسلامي ذلك أنّه لم يرو لنا شيء منها عن الجاهلية[1]لاقتضاء الأمر إليها منذ بزوغ الإسلام قصد تبليغ تعاليمه[2]،وقد تميزت بأنّها موجزة في الغالب وتفتتح بالبسملة ثم بعبارة من محمد رسول الله إلى فلان ثم يأتي بالسلام فيقول"**سلام عليك للمسلم والسلام على من اتبع الهدى لغير المسلم**"،ثم الموضوع،ثم يختتمها بالسلام أو الدعاء وقد انتهج الخلفاء من بعده نفس النهج أي الإيجاز ولغة الخطاب العادية ولكنها موشاة بشيءٍ من الجمال الطبيعي وخير مثال على ذلك رسالة عمر بن الخطاب في القضاء.[3]

ثم "في عهد الدولة الأموية أخذت الرسائل تصدر عن ديوانٍ خاص بها زمن معاوية،وأخذت الرسائل تنمو وتزدهر بعد تعريب الدواوين على يد عبد الملك بن مروان الذي أولى نظام البريد أهمية فائقة بسبب اتّساع رقعة الدولة الإسلامية".[4]

وأهمّ ما يميّز رسائل هذه الفترة أنّها كانت شبيهة بفن الخطابة،حدث تداخل بين هذين الجنسين وبدأت تسير سيراً حثيثًا نحو الفن والجمال ورسالة يزيد بن معاوية لأهل المدينة تجسّد هذه الخاصية[5].

وأمّا الرقي الحقيقي للرسائل فقد كان في العصر العباسي ويعدّ ابن العميد أستاذ عصره في التصنّع الكتابي وصوره اللطيفة ومن سمات رسائل هذا العصر:حسن اختيار الألفاظ،وبراعة أداء المعاني والحرص على عمق المعاني،وتعميق الصور البيانية،والتكلّف،والتصنّع،وكثرة السجع،والمقابلة.[6]

---

[1] ينظر:عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي،دار العلم،بيروت،ط4،1981،،ج1،ص255.

[2] ينظر:جميل إبراهيم علوش،الفصول في الكتابة الأدبية،، مكتبة المجتمع العربي،عمان ،ط1، 2003، ص82.

[3] ينظر:فهد خليل زايد،المرجع السابق،ص52.

[4] المرجع نفسه،ص59

[5] ينظر:حسين نصار،نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،ط1،2002،ص77.

[6] ينظر:فهد خليل زايد،المرجع السابق،ص60.

وأمّا التطور الفني والموضوعي الملحوظ الذي عرفه فن الرسائل فقد كان في العصر الأندلسي خاصة القرن الثالث الهجري ذلك بفضل التطور الأدبي والثقافي والحضاري الذي شهده الأندلس في هذا القرن وكذا نمت الرسائل الخاصة أي الرسائل الإخوانية وأخذت تعالج موضوعات ذاتية جديدة لم تعالجها من قبل كالشكوى ،والعتاب،والذم والشكر،وغيرها،هذا ما عرفه فن الرسائل من الجانب الموضوعي.

وأمّا الفني فقد تجلى في التأنّق والتجميل والبديع بمختلف أنواعه ومردّ هذا السمو في هذا العصر هو التأثّر بأسلوب الناثرين المشارقة من أمثال عبد الحميد الكاتب والجاحظ وأبرز كتّاب هذا العصر :الرازي أحمد بن موسى ومحمد بن عبد الرؤوف وابن برد الأكبر وابن درّاج كما نبغ في هذا الفن عدد من النساء الكاتبات منهن: مُزْنة كاتبة عبد الرحمن الناصر ولُبْنَى كاتبة الحكم بن عبد الرحمن الناصر .[1]

مع أفول العصر الأندلسي وظهور العصر العثماني انطفأ وهج فن الرسائل فأهمل الديوان وأصبحت اللغة التركية هي اللغة الرسمية،فعمّ الضعف وكثرت الأخطاء اللغوية والنحوية وفي هذا العصر اختفى مصطلح الرسائل الديوانية وحلّ محله الرسائل الرسمية؛وتميّز بناء الرسائل بالقصر والإيجاز،وإتّباع نموذج واحد،والخلو من المحسنات البديعية [2]

"ومع نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين دبّت روح النهضة و أخذ برعم الكتابة ينمو"[3]وما ينبغي الإشارة إليه دائما هو أنّ فن الرسائل لم يحض بالعناية التي حضت بها الفنون النثرية الأخرى،ولكن هذا لا ينفي وجود بعض الرسائل التي أقلّ ما يقال عنها أنّها رائعة،وقد دارت بين كبار الأدباء منها تلك الرسائل التي كانت بين شقّي البرتقالة الفلسطينية سميح القاسم ومحمود درويش،وبين غسان كنفاني وغادة السمان،وبين العقاد ومي زيادة ...الخ.

[1] ينظر:فايز عبد النبي فلاح القيسي،أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس للهجري،دار البشير،عمان،ط1، 1989،ص90.

[2] ينظر:فهد خليل زايد،الكتابة فنونها وأفنانها،ص62.

[3] ينظر:جميل إبراهيم علوش،المرجع السابق،ص(88، 89).

وشملت النهضة الأدب الجزائري أيضا،ذلك أنّ الحديث عنه يشبه إلى حدّ كبير كلّ حديث عن الأدب العربي بصفة عامة في كلّ بيئة من بيئاته الوطنية،رغم صعوبة الظروف الجزائرية لأنّ الاستعمار فيها ولج بهدف سلب الأفكار والتجهيل على عكس البلاد العربية الأخرى حيث نقل إليها المطبعة والصحف والمجالس العلمية .[1]ومن الرسائل التي زخر بها النثر الجزائري:رسائل الشيخ عدون إلى أبي اليقظان وكذا رسائل البشير الإبراهيمي .

[1] ينظر:أبو القاسم سعد الله ،دراسات في الأدب الجزائري الحديث،دار الرائد ،الجزائر،ط5، 2007،ص(21، 22).

ب/أنواع الرسائل:

سنقف على ثلاثة أنواع للرسائل وهي كالآتي:

أولا:الرسائل الديوانية:

"وتتّسم بخلوّها من الأسلوب المتأنّق والصياغة الأدبية إلّا ما ندر"[1] وكانت من أرقى المهن،وكان الخلفاء والولاة يختارون لدواوينهم كتّابًا مبرّزين،يحسنون تصريف القول بحنكة واقتدار ولديهم ثقافة واسعة في ميدان الثقافة العامة،ومعرفة تامة في طرائق الكتابة وأساليبها،فكانت الكتابة في الديوان منزلة رفيعة يحرص الكُتاب على تثقيف أنفسهم وتجويد كتابتهم ليحظوا بها[2]

وقد استعمل هذا المصطلح جلّ النقاد،"وإن اختار بعضهم مصطلحات أخرى هي الرسائل السياسية والسلطانية والرسمية".[3]

ثانيا:الرسائل الإخوانية:

وتدور هذه الرسائل بين الأصدقاء والخلصاء والأصفياء،أومن يريدون مودة الآخرين وقد تفنّن فيها كبار الأدباء،والكتاب يبثّون فيها عواطفهم الشخصية،في لغة مصقولة منتقاة وشملت موضوعات شتّى مثل:التهاني والتعازي والمهاداة والشفاعات والتشوق والاستزارة وخطبة النساء وكسب المودة والاستعطاف والاعتذار والشكوى...الخ،وشمل هذا النوع من الرسائل أدبا رفيعا مثل:رسالة ابن القارِح ورسالة داعي الدعاة إلى أبي العلاء المعرّي اللتين ردّ عليها في كتابه رسالة الغفران[4].

[1] عبد الملك بومنجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي،بيت الحكمة ،الجزائر،ط1،2009،ص49.

[2] ينظر:محمود عبد الرحيم صالح ،فنون النثر في الأدب العباسي ،عمان،ط1، 2011،ص(81،82).

[3] صالح بن رمضان،الرسائل الأدبية ،دار الفارابي،بيروت ،ط2007،2،،ص62.

[4] ينظر:جميل إبراهيم علوش ،الفصول في الكتابة الأدبية،ص87.

ثالثا:الرسائل الأدبية:

وهي الرسائل التي يكتبها الأديب ليقرأها الناس جميعا ولا توجّه لشخص بذاته،وهذا اللون من الرسائل يقترب من المقالة الأدبية في العصر الحديث يتناول فيها الكاتب موضوعًا أدبيًا معتمدًا فيه على إثارة العواطف من رسائل الجاحظ(عمر بن بحر 500هـ) الذي كان،ولم يزل إمام كتاب الرسائل في رسائله منها:رسالة التربيع والتدوير،رسالة الحاسِد،والمحسود،ورسالة المعاش والمعاد،ورسالة السود والبيض،رسالة القِيان"[1]

[1] ينظر:جميل إبراهيم علوش،المرجع السابق،ص(87،88).

ج/اتجاهات فن الرسالة في النثر الجزائري الحديث

يرى عبد الله الركيبي في كتابه تطور النثر الجزائري الحديث أنّه يمكننا التمييز بين اتجاهين في فن الرسالة من حيث الأسلوب:

-الاتجاه الأول:

يدلّ هذا الاتجّاه على تأثّر الأديب بأسلوب القدامى في رسائلهم وخصائصهم الفنية"دون أن تذوب شخصيته أو تختفي وراء ركام الألفاظ والعبارات المنمّقة"[1] ويستظهر فيه تمكنّه من اللغة العربية واستيعابه لمفرداتها، وأساليبها وخير ممثّل لهذا الاتجاه حمدان خوجة في رسالته التي بعثها لشيخه سيدي علي بن محمد فقد احتفت رسالته بالسجع والمدح بالشريعة وضرب المثل الذي كان يأخذ ثلاث صور الحكمة أو الموعظة أو الأبيات الشعرية " وهذه سمة من النثر الجزائري بل في النثر العربي عامة"[2] .

-الاتجاه الثاني :

حرّر سالكو هذا الاتجاه الأسلوب من الركاكة والتكلّف، وعمدوا فيه إلى البساطة والوضوح وإلغاء الهدف الجمالي و"اختفى أسلوب السجع والبديع بشكل ظاهر"[4]وقد التقت[3] جلّ خصائص هذا الاتجاه في رسائل الأمير عبد القادر للحكام الفرنسيين أثناء مفاوضاته معهم حيث كانت السيادة في هذه الرسائل للمعاني الدقيقة، والأفكار العميقة إذ يشرح في رسائله موقفه من السلم والحرب وما يتّصل بهما من ملابسات ومعطيات"فقد كان الفضل للأمير في الارتقاء من لغة نثر مرصّعة منمّقة إلى لغة التعبير عن الأفكار السامية هدفها المنشود [5]

---

[1] عبد الله الركيبي،تطور النثر الجزائري الحديث،دار الكتاب العربي،الجزائر،ط2،2009،ص42.

[2] المرجع نفسه،ص(43،44).

[4] المرجع نفسه،ص46.

[5] ينظر:المرجع نفسه،ص47.

تعتبر الدراسة الفنية للرسائل سواء أكانت إخوانية أم رسمية،دراسة تكشف عن صياغة فنية تمسّ شكل الرسائل وتبحر في لغتها وأساليبها من جهة واستقاء معانيها من القرآن الكريم أوالحديث أو الشعر من جهة ثانية .

المبحث الأول:التعريف بالمدونة

أولا:الغلاف والعنوان:

الغلاف هو أوّل ما يظهر للقارئ أيّا كان صنفه –عاديا أم نموذجا–تتوسّطه في هذه المدونة ورقة بالية لونها ترابي مهترئة الحواف،وفي أسفله موضوعة دواة وريشة تنم عن روح الأصالة والمحافظة.

وقد التصق بالريشة بعض الحبر المتبقّي من تدوين جملة العنوان المتمثّل في الفصيح في فن المراسلة فكتبت –الفصيح في – باللون الأحمر الداكن الذي "يدل على الطهر والنقاء لأنّ العرب تطلق على الأبيض:أحمر إذا أرادت لون أبيض، والعرب تقول امرأة حمراء ويريدون بيضاء "[1] ولم يكن انتقاء هذا اللون عبثا بل رغبة في تأكيد الفصاحة نظرا لشيوع العامية في بعض الفنون النثرية الأخرى،و–فن المراسلة– بلون أسود مثبتا سيادة ومكانة هذا الفن النثري العريق عراقة الورقة خلفية العنوان،وفي أعلى الغلاف كتب اسم المؤلف بخط دقيق [2].

أمّا دفة الغلاف الخلفية فنجد أنّها اشتملت على الأغراض محافظة على نفس ترتيبها في المتن من التشوّق إلى التنبيه

[1] ينظر: أحمد مختار عمر،اللغة واللون،عالم الكتب،القاهرة،ط2 ،1997،ص42.

[2] أنظر الصورة رقم –1–توضح صورة لغلاف الكتاب،الملحق الثاني،ص72.

ثانيا:المتن:

احتوت دفتي المدونة إهداءً وتقديماً ومسك ختام،لم يستحوذ الإهداء إلّا على ثلاثة أسطر ونصف:

"إلى الذين يستهويهم كلّ مقروء من الأدب العربي

يلتقي فيه جمال اللفظ ودقة المعنى وسلاسة الأسلوب لاسيما فن المراسلة الممتع الرائق،فإلى هؤلاء وغيرهم أعرض كتابي هذا" [1].

نلحظ أن الإهداء كان عاما فكان لهواة قراءة الأدب وغيرهم،وجرت العادة أن يتفرد بصفحة إلّا أنّه في هذه المدونة فقد استقلاليته؛ بحيث أدرجت معه معلومات أخرى (تاريخ الإصدار،رقم الإيداع،اسم المؤلف،ودار التوزيع ومعلومات أخرى) يلي الإهداء التقديم،وقد استعمل الكاتب هذه اللفظة دون غيرها متأثّرا بالقدامى رغبة في التأصيل لهذا الفن ،ذكر فيه سبب التأليف الذي تمثّل في ندرة كتب الرسائل وتعطّش الطلبة لهذا الفن،ثم أدرج الخطة التي سار عليها :

"هذا وسيكون الكتاب على النحو التالي: 20عنوانا تنضوي تحت كل منها 5 رسائل متنوعة تدور حول محور واحد،فيكون المجموع مئة رسالة إن وفقنا الله إلى إتمامها"[2].

وأمّا الختام فكان مختصرا في مقطوعة- من شعره -من البحر الطويل المقبوض ضربا وعروضا يرجو في بيتها الأخير القبول ويحيي أهل العلم

"وإذ أرتجي حسن القبول فإنني ********** أحيي رجال العلم من كل مذهب "[3]

كان الكاتب قبل شروعه في الرسالة يخصّص صفحة لعنوان الغرض،وقد استهل بالتشوق- غرض إخواني- وختم بالتنبيه -غرض رسمي- كما سيوضّح الجدول التالي:

[1] إبراهيم بوحميدة،الفصيح في فن المراسلة،دار النجاح،الجزائر،ط1،2008،ص2.

[2] المصدر نفسه،ص3.

[3] المصدر نفسه،ص124.

الأغراض	عناوين الرسائل	الصفحات
التـــــشـوق	-ولدنا العزيز	-الصفحة 5
	-أبي العزيز	-الصفحة 6
	- صديقي المحترم	-الصفحة 7
	-إلى جارنا المحترم السيد م	-الصفحة 8
	-أستاذي الفاضل	-الصفحة 9
الإخـــبـــار	-زميلي القديم ح	-الصفحة 11
	-صديقي العزيز	-الصفحة 12
	-إلى الطالب النجيب س	-الصفحة 13
	-إلى شقيقي العزيز طاهر	-الصفحة 14
	-إلى ابن العم صادق	-الصفحة 15
التـــهنـــــئة	-إلى رفيق المدرسة سالم	-الصفحة 17
	-إلى أعز الأصدقاء علي	-الصفحة 18
	-إلى الخليل الفضل	-الصفحة 19
	-صديقي المناضل محمد	-الصفحة 20
	-إلى رفيق العمل صالح	-الصفحة 21
التـــعزيـــة	-صديقنا الأديب السيد عمر	-الصفحة 23
	-إلى جارنا السيد محسن	-الصفحة 24
	-إلى أحب رفيق عبد الغني	-الصفحة 25
	-إلى عمنا العزيز عبد السلام	-الصفحة 26

	-إلى خير الخلان يوسف	-الصفحة 27
العتـــــــاب	-أخينا العزيز عبد الله	-الصفحة 29
	-عمي المحترم	-الصفحة 30
	-حضرة السيد أبي القاسم	-الصفحة 31
	-إلى الصديق إسماعيل	-الصفحة 32
	-إلى ابن الخالة سعيد	-الصفحة 33
الاعتـــذار	-أخي العزيز فريد	-الصفحة 35
	-صديقي الحميم عبد الإله	-الصفحة 36
	-إلى الرفيق المخلص جمال	-الصفحة 37
	-حضرة الجار الموقر السيد هاشم	-الصفحة 38
	-حضرة أستاذي المحترم	-الصفحة 39
الإرشـــــــاد	-إلى أحسن رفيق محمود	-الصفحة 41
	-عزيزي خالد	-الصفحة 42
	-إلى رفيق الصبا محسن	-الصفحة 43
	-إلى تلميذنا النجيب محفوظ	-الصفحة 44
	-إلى ابن صديقنا عبد الرحيم	-الصفحة 45

الاستعطاف	-والدي العزيز	-الصفحة 47
	-والدتي الحنون	-الصفحة 48
	-ابن عمي الهاشمي	-الصفحة 49
	-صديقي العزيز خليل	-الصفحة 50
	-إلى السيد الموقر عبد الصمد	-الصفحة 51
الشـــــكـــر	-سيدي الأستاذ	-الصفحة 53
	-حضرة السيد الحكيم الملهم	-الصفحة 54
	-حضرة السيد المفضال م.ف	-الصفحة 55
	-ابن الخالة الموقر ص.م	-الصفحة 56
	-إلى رفيق الوالد السيد ف.ص	-الصفحة 57
التحـــــــذير	-صديقي الوفي أ.ج	-الصفحة 59
	-ولد العمة ب.ط	-الصفحة 60
	-إلى أعز الزملاء م.ر	-الصفحة 61
	-إلى جارنا القديم س.ز	-الصفحة 62
	-أخي وشقيقي أ.أ	-الصفحة 63
التشـــــجيع	-أخي وصديقي ح.ظ	- الصفحة 65
	-أخي في الله السيد م.ع	-الصفحة 66
	-إلى الأخ العزيز س.م	-الصفحة 67
	-حضرة السيد د.ع	-الصفحة 68

	-حضرة السيد المحترم ق.ي	-الصفحة 67
الإشـــــادة	-إلى السيد الهمام ك.ل	-الصفحة 71
	-تلميذنا القديم أ.ح	-الصفحة 72
	-إلى صديقي الموقر س.ف	-الصفحة 73
	-حضرة الأخ الكريم ب.ص	-الصفحة 74
	-إلى الشاب المهذب ع.غ	-الصفحة 75
الاستنـــكار	-إلى تلميذنا م.ح	-الصفحة 77
	-إلى أخي م.غ	-الصفحة 78
	-صديقي المحترم ح.ن	-الصفحة 79
	-رفيقي المحترم أ.ل	-الصفحة 80
	-إلى خالي ن.ز	-الصفحة 81
الاستعـــــلام	-حضرة السيد ت.هـ	-الصفحة 83
	-إلى ولد صديقنا ك.ط	-الصفحة 84
	-رفيقي العزيز ج.د	-الصفحة 85
	-رفيقي العزيز س.ش	-الصفحة 86
	-حضرة السيد الحكيم ع.و	-الصفحة 87
المساعـــدة	-حضرة السيد الفاضل خ.س	-الصفحة 89
	-حضرة ابن الصديق ط.م	-الصفحة 90

	-حضرة السيد الموقر أ.ل	-الصفحة 91
	-حضرة السيد ث.ح	-الصفحة 92
	-حضرة السيد مديرالشؤون الاجتماعية	-الصفحة 93
الطـــــلب	-السيد مدير شركة الكهرباء والغاز	-الصفحة 95
	-حضرة السيد المحترم والي الولاية	-الصفحة 96
	-سعادة السيد وزير التعليم العالي	-الصفحة 97
	-سعادة السيد وزير الإعلام	-الصفحة 98
	-حضرة السيد المحترم رئيس المحكمة	-الصفحة 99
المطـــالبة	-حضرة السيد رئيس البلدية	-الصفحة 101
	-حضرة السيد مدير النقل العمومي	-الصفحة 102
	-حضرة السيد مدير الإنارة	-الصفحة 103
	-حضرة السيد مدير الأشغال العامة	-الصفحة 104
	-سعادة السيد وزير الصحة	-الصفحة 105
الاحتـــجـاج	-إلى السيد المحترم ق.ك	-الصفحة 107
	-حضرة الأخ الكريم ص.ت	-الصفحة 108
	-حضرة السيد مدير مقاولة البناء	-الصفحة 109
	-حضرة السيد المحترم رئيس الدائرة	-الصفحة 110
	-حضرة السيد رئيس البلدية	-الصفحة 111

الطعـــــن	-السيد مسؤول اللجنة الوطنيةللمجاهدين	-الصفحة 113
	-حضرة السيد مسؤول لجنة العطب	-الصفحة 114
	-حضرة السيد الموثق	-الصفحة 115
	-حضرة السيد مسؤول الشؤون الثقافية	-الصفحة 116
	-حضرة السيد مدير الخزينة العامة	-الصفحة 117
التنـــــبيه	-حضرة السيد رئيس البلدية	-الصفحة 119
	-حضرة السيد مدير الشؤون الاجتماعية	-الصفحة 120
	-حضرة الأخ السيد نقيب عمال البناء	-الصفحة 121
	-حضرة الأمين العام لاتحاد الكتاب	-الصفحة 122
	-سعادة السيد وزير السياحة	-الصفحة 123

الجدول-1-يوضّح أغراض وعناوين رسائل المدونة

المبحث الثاني:معمارية الرسائل:

لامرية أنّ ما تتّسم به الرسالة باعتبارها فنًّا نثريًا هو المعمارية،التي تباينت وتنوّعت تشكلاتها من عصرٍ إلى عصرٍ،ولكن لا يمكن أن تخرج عن مقدمة وعرض وخاتمة .

أولا:المقدمة :

هي ما كان يقصد به الابتداء عند صاحب صبح الأعشى والصناعتين.ويعتبر ذا أهمية بالغة "فإذا كان الابتداء حسنا بديعا،مليحا رشيقا،كان داعيةً إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"[1].كما أنّ المقدمة لا تستفتح على صيغة واحد ذلك أنّها "خصّت بالاختيار لأنّها أوّل ما يطرق على السمع من الكلام"[2]وهذا ما يكسبها سمة فنية فقد نجدها على صيغ عديدة ومختلفة لأنّ الكتّاب أخذوا يتخيّرون مقدماتهم على فطرة.

وكانت تبدأ غالباً بعبارة (السلام عليكم و رحمة الله و بركاته)[3] ومن خلال ملاحظتنا لرسائل الأديب وجدنا ستة عشر رسالة تحمل هذه المقدمة أو الابتداء ونمثل لذلك برسالة يبدأ بـــــــ"**السلام عليكم و رحمة الله و بركاته**"[4]،فلا يزيد عن التحية شيء مثلا الدعاء أو المدح...الخ بل يدخل بعدها مباشرة في الموضوع"السلام عليكم .،إنّه كان من المعتاد كما تعلم أن أتلقى" [5]،وكان هذا تقليد عند بعض الكتّاب ويعد مما نذب إليه الشارع[6] فالكاتب جرى مجرى التقليد والفطرة .

كما نجد صيغ أخرى لم تعرف من قبل واختصّ بها إبراهيم بوحميدة فقد وظّف تحية تميّزت بالإيجاز والقصر،تصوّر مشاعر المرسل إليه وكأنّها ومضات تشويقية فمثلا قوله"تحية أخوية عطرة"[7].وكذا قوله"تحية نابعة من الصميم"[1]،فرغم وضوحها إلّا أنّها أحدثت أثراً نفسيا .

---

[1] أبي هلال العسكري،الصناعتين،تح:محمد البجاوي و آخر،دار الفكر العربي،القاهرة،ط2، 1971،ص457.

[2] أحمد الهاشمي،جواهر الأدب،المكتبة التجارية الكبرى،مصر،ط1،1969،ج1،ص39.

[3] ينظر:خليل هنداوي و آخرون،الرائد في الأدب العربي،المطبعة الهاشمية،دمشق،ط1، 1948،ص268.

[4] إبراهيم بوحميدة ،المصدر السابق،ص5.

[5] المصدر نفسه،ص27.

[6] ينظر :القلقشندي،صبح الأعشى،دار الكتب المصرية،القاهرة،ط1، 1922،ج6، ص274.

[7] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص63.

وكذا نلحظ صيغ أخرى ظهرت في مقدمات الرسائل الرسمية وهي على وجهين:أمّا الأول فكان يبدأ بذكر المرسل مُوقّع الرسالة ومثال ذلك(أنا الموقع أسفله ،أنا الممضي أسفله) ولا يكتفي بها بل يضيف عن المرسل معلومات والعنوان كاملا في قوله "أنا الموقع أسفله ك.م.الساكن بحي المرادية بالجزائر العاصمة بناية 32شارع الحرية..."[2].وهذا يعدّ نموذج رسمي لكتابة الرسالة فقد استوفى شروط الكتابة الرسمية من وضوح المقدمة وذكر المرسل هذا بالنسبة للوجه الأول،أمّا ثاني وجه من صيغة الابتداء،ورودها دون تحية بضمير المتكلم (نحن) في قوله"نحن سكان الحي الشرقي من القرية ..."[3].فهنا يكون الابتداء بشكل جماعي حيث يحدّد المكان وهذا شكل يبرز شكوى أو احتجاج أوطلب جماعة بل سكان منطقة ما،وكلا الصيغتين حديث العهد وهو يعبّر عن تقرّب الجماعة من الجهات الرسمية أكثر وكذا وضع هذه الجهات في الصورة .

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق ،ص 62.

[2] المصدر نفسه،ص 92.

[3] المصدر نفسه،ص101.

ثانيا:العرض:

بعد أن يضع الكاتب مقدمات لموضوع رسالته؛يسعى إلى حسن التخلّص منها ولهذا التخلّص أشكال عدة،أشهرها البعدية "وتذكر بعد السلام و موضوع الرسالة يرد بعدها مباشرة"[1]ونستشفّ أنّ الكاتب استعمل البعدية في جلّ الرسائل الإخوانية منها والرسمية بحيث وصلت إلى خمس وعشرين رسالة مثلا قوله "أما بعد فأنا،إن كنت تتذكر و لم تنسك..."[2].ونجده وظّفها ليحسن التخلّص ويرد إلى العرض دون تعقيد وبطريقة سلسة.كما نجد شكلا آخر للتخلّص هو ردّ الجواب،أي يذكر الكاتب أنّه يردّ على كتاب المرسل إليه،كقوله:ألقى،وورد،ووصل،ووافاني...،[3]حيث وجدنا عشر رسائل اعتمد فيها ردّ الجواب ومثال ذلك قوله"وصلتني رسالتك الكريمة التي حملت إليّ تحيتك وعواطفك الرقيقة..."[4].

نلتمس من هذا التخلّص الدّقة والمباشرة والوضوح بحيث ردّ الجواب ميزة تميّز بها الكتّاب تنم عن الاهتمام بالآخر والرغبة في مواصلة تبادل الرسائل .كما نجد حسن التخلّص في رسالتين فيه نداء المرسل إليه في قوله"**أيّها الحكيم المحترم**"[5]،وكذا قوله"**أيّها السيد المحترم**"[6].هذا حسن تخلّص جديد أبدعه الكاتب؛فبعد أن هيّأ المرسل إليه بالتحية،قام بالنداء ليلفت انتباهه إلى العرض القادم فعنصر النداء أدّى مهمة جليلة لتلقّي الموضوعات .

و يمكن أن نعطي بعض الملاحظات حول حالة العرض،قد كان متماسكاً و واضحاً في كلّ الرسائل، فإذا كان العرض طويل بعض الشيء نسّق عباراته وجعلها مترابطة بحيث لا يخرج عن الموضوع ويتدرّج فيه،وإذا اختصر جعل العرض في فقرة أو فقرتين واعتمد أدوات التنسيق والترتيب مثلا:(إن،لقد،وفي،لاشك،لهذا...الخ).وفي الحالتين اتّسم بالوضوح والدقة وتخيّر الألفاظ والمعاني وعدم الإطناب حتى الملل.

---

[1] جابر قميحة،أدب الرسائل في صدر الإسلام،دار الفكر العربي،القاهرة،ط1، 1986،ص125.

[2] إبراهيم بوحميدة، المصدر السابق،ص45.

[3] ينظر:عبد النبي القيسي،أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس للهجري،ص317.

[4] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص8.

[5] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق ،ص87.

[6] المصدر نفسه،ص 89.

ثالثا:الختام:

إذا أراد الكاتب أن يضع ختاما لرسالته عليه"أن يتأنق فيه غاية التأنّق و يجود فيه ...لأنّه أخر ما ينتهي إلى السمع...مميّزاً عن سائر الكلام قبله"[1]وشخصية الكاتب هي التي تتحكم في حالة الختام.

وإذا نظرنا في رسائل بوحميدة نجد عدّة صيغ للختام؛حيث ختم بعض رسائله بـــــــــ(السلام)أو (السلام عليكم) مثال ذلك"..**والسلام عليكم**."[2].وفي رسالة أخرى "هذا ما أردت أن أقوله لك والسلام"[3]، فجعل الختام في مركب سهل، واضح ومباشر.

كما نجد أيضا صيغة أخرى وهي الطاغية حيث يجعل من الاعتذار للمرسل إليه حلّة يكسو بها خواتمه والبعث بأطيب التحايا ومثال ذلك قوله"...أقدّم لك اعتذاري وتحيتي وتقديري الفائقين"[4].فلاعتذار والتحية يحرّكان مشاعر وأحاسيس المرسل إليه ويجعلانه يتوق للردّ عن الرسالة وفي أقرب فرصة تتاح.

وكذا الختام بإعلام المرسل إليه أنه في انتظار الردّ عن الرسالة في قوله"أنا في انتظار ردك العاجل لأطمئن عليك..."[5].وفي هذا مطالبة صريحة بالردّ على الرسالة ويظهر أيضا ختام آخر يتعلّق بالغرض،فإذا كانت تعزية أورد ختامه تعزية في قوله"لا يسعني إلّا أن أتقدم إليك ...بتعازي الحارة مع الدعاء لكم بالصبر والسلوان وللراحل بالرحمة والغفران"[6].وإذا كانت تهنئة ورد ختامها بتقديم التهاني والتمني بالمزيد.لقد تباينت صيغ الختام ويعود هذا إلى سعة صدر الكاتب والاهتمام بمتلقّيه .فالكاتب ابتعد عن التعقيد والتكلّف والإطناب وجعل الختام مسكًا.

ويمكن الإشارة إلى خاصية تعلّقت بمعمارية الرسائل فقد لا تكون جديدة لكن فيها جانب من الجدة وهي التوقيع بألقاب وأسماء المرسل كانت في أخر الرسائل بنوعيها ومن هذه التوقيعات

---

[1] شاكر البتلوني،دليل الهائم في صناعة الناثر و الناظم،المطبعة الأدبية،بيروت،ط2، 1890،ص79.

[2] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 39.

[3] المصدر نفسه،ص41.

[4] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 38.

[5] المصدر نفسه،ص61.

[6] المصدر نفسه،ص 23.

(جارك الشاكر.ع،تلميذك البار سعيد،أستاذك النصوح.ح،صديقك الوفي.ص...) فيه توقيعات تحمل صفات تشرح صدر المرسل إليه .

من خلال دراسة معمارية رسائل إبراهيم بوحميدة اكتشفنا أشكال وصيغ أصبح متعارف عليها وأخرى مستحدثة اختصّت بها شخصية الكاتب عن غيره تظهر مدى الاهتمام بالنص أوّلا والمتلقي ثانيا،والأهمّ أنّها إضافة في حقل الأدب وفن الرسائل بالتحديد.

المبحث الثالث:اللغة و الأسلوب:

اللغة هي رأس مال الكاتب،وأسّ كلامه وكنز إنفاقه[1]وتعتبر من أبرز الآليات المستخدمة في إبداعات أيّ أديبٍ للتعبير عن طبائع أغراضه ومقاصده التي يروم إيصالها[2]وتخضع اللغة لهذا المقصد من خلال كل تشكلاتها في بساطتها وجزالتها،وفي غرابتها وائتلافِها.وقد عني النقاد والعلماء بالحديث بشروط ومواصفات الألفاظ وما تحمّل به وتقبّح وما إلى ذلك ما يصلح للخطاب البليغ[3].

وعند دراستنا لرسائل الأديب بوحميدة وقفنا على لغةٍ عنوانها البساطة والائتلاف والوضوح وينطبق القول على الرسائل بضربيها الإخوانية والرسمية فلم نحصِ أيّ مفردة مستهجنة ولا غريبة أوجزلة وهذا ما سنجده جليّا في النموذج المختار من غرض الإخبار "إن التجارة مهنة شريفة لا يستخف بها إلا جاهل أو عديم تجربة،لكنها تتطلب شروطا عديدة لتأتي بالنتائج المرجوة من ذلك المحل المناسب والموقع الملائم، ورأس المال الكافي، والمعرفة التامة بنظم هذه المهنة العظيمة وأساليبها المتنوعة، وإذا ما قدر لك أن تشرع في عمليتك هذه فهناك شروط أخرى يجب احترامها لضمان السير اللائق والربح الوفير، أولا تنظيم أوقات الفتح والإغلاق،ثانيا إحضار البضائع المطلوبة مع حسن ترتيبها إلى جانب حسن المعاملة،والقناعة بما تيسر من الفائدة وإياك من مداينة من لاتثق بمروءته وصدقه، فإن مداينة السفهاء مظنة الإفلاس وعواقبه الوخيمة فإن كنت أخي واعيا ما أفرطت من آراء هي في صالحك طبعا.آنسا من نفسك القدرة على تطبيق الشروط المذكورة فبادر واتكل على الله،وإلا فالترك أولى."[4]

وما يميّز أسلوب الأديب تجنّب التعقيد،وهو ما يميّز معظم كتاب العصر الحاضر الذين انصرفوا انصرافًا تاماً عن السجع وضجروا من هذه الزخارف،لأنّها تحيد الكاتب عن المعنى الرائع والغرض النبيل [5]فقد عمل بوحميدة على إزاحة اللذة الفنية ،وما تقتضيه من محسنات وصور إلّا ما

[1]القلقشندي،صبح الأعشى،ج1،ص150.

[2]محمد مسعود جبران ،فنون النثر الأدبي في آثار ابن الخطيب،دار المنار الإسلامي،لبنان،ط1،2004،م2،ص175.

[3]ينظر:المرجع نفسه،ص187.

[4]إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص15.

[5]زكي مبارك،النثر الفني في القرن الرابع،مطبعة السعادة،مصر،ط2،1957،ج1،ص101.

نذر منها"..لا يشمّ للرذيلة رائحة"[1] ،"تحية لطيفة كالصبا عبقة كالزهور"[2]،"..فمن المدرسة يتخرّج العلماء والفقهاء الذين لا صلاح لأمة بدونهم لأنّهم مصابيحها النيّرة التي تزيح عنها الظلام"[3].

وعند ملاحظتنا لهذه الصور لا نشعر أنّ الكاتب تكلّف في استحضارِها بل كانت عفوية ولم يكن حضورها مكثّف،ونجد هذه الطريقة في الكتابة التي تعمل على تحقيق المعنى وإيصال الفكرة والوضوح في التعبير عند أبو الإصلاح عبد الحميد ابن باديس.[4]

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص19.

[2] المصدر نفسه،ص43

[3] المصدر نفسه،ص 69.

[4] ينظر:محمد مصايف،النثر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،دط،1983،ص130.

المبحث الرابع:الاقتباس و التضمين

لقد حرص كتّاب الرسائل على الاستقاء من القرآن الكريم والحديث الشريف،كما ضمّنوا رسائلهم أيضا الشعر والأمثال والحكم وحتى السير والقصص،ولم يزل العلماء وفضلاء الكتّاب يستشهدون بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والمثل...الخ في مكاتباتهم في القديم والحديث[1] .

و لقد اعتمدنا للكشف عن الاقتباس والتضمين في الرسائل على الدراسة التقليدية بعيدين كلّ البعد عن المفاهيم الحديثة .

أولا:الاقتباس

لقد كان للقرآن الكريم والحديث الشريف أثر كبير في أسلوب الكاتب،فهما مثال البيان والفصاحة وسيظهر ذلك من خلال تتبّعنا لرسائله وما سنورده من أمثلة،ولقد خصّ الكاتب الرسائل الإخوانية فقط،في حين نلحظ خلوّ الرسائل الرسمية من كلّ اقتباس أو تضمين،وذلك يرجع لطبيعة مواضيعها والمرسلة إليهم .

ولقد كان الاقتباس على وجهين:أوّلهما الاستشهاد بالآيات والأحاديث بصيغتها ولفظها أي "أن يضمّن الكلام شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف وينبّه عليه "[2]؛ومن أمثلة هذا الوجه نجد رسالة إلى ابن خالته يعاتبه فيها على قطع الصلة إذا يقول"...لعلك يا أخي لم تسمع ما قيل عن النمامين اللئام،من قال لك قال عنك،وقول الله تعالى عنهم وهو أصدق القائلين:ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم...ولئن كنت أعجب فما أكبر عجبي من شاب متعلم مثلك ينجر مع كذب نمام تافه لا إيمان له ولا ضمير"[3]،فالاقتباس جليّ وكان في محلّه فهو تحدّث عن النمامين والذين يقطعون الصلات واستشهد بقوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ

[1] القلقشندي،صبح الأعشى،ج1،ص191.

[2] ينظر:المرجع نفسه،ص(174...206).

[3] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص33.

﴿ ﴾ الآية:(10 ،11)،سورة القلم،فالكاتب جعل من كلام الله عزّ وجلّ شاهد على قوله السابق وحجة لا نقاش فيها،فهو يطرح موضوع مهمّ بالنسبة للمرسل إليه ومتلقي في نفس الوقت.

كذلك نجد الاقتباس في رسالة بعث بها كردّ عن رسالة وطلب لابن صديق له حيث كان موضوعها أنّ الصدقة لا تكون إلّا للفقراء والمساكين في قوله "...فقد قلت في خطابك إنّكم ستدعون الوجهاء والأعيان،وهؤلاء فيما أعتقد ليسوا ممن يتصدّق عليهم،أنسيت قوله تعالى:إنّما الصدقات للفقراء والمساكين..." [1]؛ حيث ذكّر المرسل إليه بقول الغني سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ الآية :60،سورة التوبة .فهو يعالج موضوعا ويستشهد بقول الله تعالى لأنّه الخلفية التي لا تغيب عن كلّ مسلم،فالصدقة لا تكون إلّا للفقراء إن ابتغى بها نيل الأجر .

ومن الاقتباس أيضا نجد رسالة أخرى بعث بها إلى تلميذ لكي يبين له مكانة الأم وما الذي عانته من أجله،فالتلميذ كان يعامل أمه معاملة سيئة حيث يقول في نص الرسالة "...فقلت سبحان الله،ما كنت أظن م ح ذلك الولد الهادئ يتحول على شاب متمرد يعق أمه ويتطاول عليها بلا رحمة أو شفقة؟ فأي شيء يجعله يتصف بهذا الوصف البشع المقيت؟ ما باله يقابل أمه بمثل هذا التصرف المنكر وقد قاست الآلام والمحن في سبيل تربيته ورعايته،وكأنه لم يقرأ قول الله جل وعلا:وقضى ربك ألا يعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا..."[2]،لقد استشهد بالقرآن الكريم بعد تعجبه من سلوك التلميذ وأورد الآية القرآنية الكريمة : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾الآية :23،سورة الإسراء.فجاءت الآية مبيّنة مكانة الوالدين ووجوب حسن معاملتهم،ووضع التلميذ أمام قول وحدّ لا تجاوز فيه واستنكر أفعاله.

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص90.

[2] المصدر نفسه،ص 77.

هذا عن الوجه الأوّل للاقتباس،أمّا الوجه الثاني فهو أن يقتبس من كلام الله عز وجل دون تنبيه عليه كقوله:(قال تعالى،قوله عز وعلا،هو أصدق القائلين...) أي دون النص عليها بصيغتها...وكذا اقتباس معاني القرآن الكريم وإيرادها ضمن نصوص الرسائل[1]،ويعدّ هذا الوجه واضح في الرسائل بحيث يبرز كسمة تميّزت بها الرسائل"فلا شبهة فيما يصير للكلام من الفخامة والجزالة والرونق"[2].

ويمكن أن نورد بعض النماذج :حيث نجد في رسالة بعث بها صديق له يقول فيها:"..ولكم وددت أن أكون بجانبك لأودعك قبيل اتجاهك إلى ذلك التراب المقدّس الذي ظلّ منتهى أملك منذ أمد بعيد،ولئن كانت الظروف قد سمحت لك بذلك،فإنّما هو توفيق من الله تعالى،ولا غروَ أنّ ثوابك سيكون عظيما يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وإذ أرجو أن تصل إلى بيت الله سالما غانما..." [3]،من خلال نص الرسالة نلمس اقتباسا حيث يعتذر لصديقه لعدم توديعه شخصيا ويبيّن له أنّ ثوابه سيكون عظيما ويقتبس قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩﴾ الآية(88، 89)،سورة الشعراء.،ويظهر أنّ الاقتباس ورد ليبين أنّ الثواب العظيم خير من المال والبنون،وزيارة بيت الله تطهّر القلوب،وذلك الذي ينفع يوم القيامة.

وفي رسالة أخرى بعنوان:أبي العزيز،نلمس اقتباس في قوله:"..فلا يزال قلبي يخفق بمحبتكم ويلهج بالاشتياق إليكم ويتمنى أن يسعدني الحظ بلقائكم في أقرب الآجال وإذا كان لابد من مقام قد يقصر أو يطول في هذه المدينة الجميلة فلن تسمع عني إلا ما يطمئنك ويرضيك...فإليكما كل تقديري ومودتي وطاعتي التي لا تنقطع ولا تبلى على أن غاية ما أُؤَمله هي الدعوات الصالحة أناء الليل وأطراف النهار."[4] ،من خلال نص الرسالة يتبيّن أنّ الابن يكنّ لوالديه التقدير والمودة والطاعة ويطلب منهما الدعوات الصالحة وهذه الدعوات لا تكون في وقت معيّن بل يقتبس قول الله تعالى:﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ

[1] ينظر:عبد النبي القيسي،أدب الرسائل في الأندلس،ص(327...329).

[2] القلقشندي،صبح الأعشى،ج1،ص191.

[3] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص18.

[4] المصدر نفسه،ص 6.

ءَانَآيِ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ الآية :130،سورة طه.جعل الاقتباس في محلّه كيف لا ودعوة الوالدين مستجابة ليلاً ونهاراً .

كذلك في رسالة بعنوان حضرة الصديق المفضال م.ف نلحظ اقتباس في قوله:"لقد كنت يا أخي أعاني ضائقة مالية بسبب تكاليف البناء التي ابتلعت كل مدخراتي و يا ليتها كانت كافية لإتمام المشروع.وضاقت بي الأرض بما رحبت،لو لا فكرة لاحت لي عند اشتداد المحنة.وهي التماس المبلغ المحتاج إليه من أصدقائي القدامى..."[1]،من خلال هذا المقطع نلحظ أنّ الكاتب عبّر عن شدّة وضائقة قوية لحقت به حتى ضاقت الأرض رغم رحابتها، وأورد تعبيرا عن ذلك مقتبسًا قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ الآية:118،سورة التوبة،بحيث كان كلام الله عز وعلا حجة وصور الحالة التي مرّ بها .

لقد استقى الكاتب من كتاب الله عز وجل لأنّ من شرف الاستشهاد به إقامة الحجة،وقطع النزاع،وإذعان الخصم [2]،هذا عن الاقتباس من القرآن الكريم.

و كما وجدنا الاقتباس من القرآن الكريم؛كذلك نجد الاقتباس من الحديث الشريف "وهو أن يضمّن الكلام شيئا من الحديث وينبّه عليه"[3]،ولقد كانت هذه الظاهرة جلية عند الصحابة والتابعين حيث كانوا يحتجون به،ويستدلّون به في مواطن الخلاف والنزاع[4].

ونجد هذه الظاهرة بادية أيضا في رسائل بوحميدة،حيث نجد في رسالة بعث بها إلى جاره يقول فيها:"..فلقد كنت ومازلت الجار الملائم الذي هو أحق بكل ثقة واعتبارV،وكيف لا والقرائن كلها تشهد بنبل أخلاقك وحميد صنيعك لا كجار فقط،بل كصديق نعلق عليه كل أمل ونرجو منه كل خير مما لا يدع لنا أي شك في أنك من الذين يعرفون حق الجوار عملا بقوله عليه الصلاة

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 55.

[2] ينظر :القلقشندي،صبح الأعشى،ج1،ص191.

[3] المرجع نفسه،206.

[4] ينظر:المرجع نفسه،ص202.

والسلام:...مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"[1] ، الاقتباس ظاهر حيث عدّد مناقب الجار واستشهد بقوله صلى الله عليه وسلم :"مازال جبريلُ يوصِيني بالجَار حتّى ظنَنْتُ أنّه سيورثُه"[2] .

كذلك في رسالة أخرى بعنوان حضرة السيد الموقر أ.ل يقول :"..وأنتم كما نعلم أهل للمشاركة في هذا المشروع العظيم لما عرفتم به من سجايا حميدة ...كما أنتم لا تجهلون قول الرسول عليه الصلاة والسلام:من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة ،فإذا كان الثناء والثواب من نصيب المحسن في غير المسجد عظيما ،فما أعظمه إذا كان فيه"[3]،لقد بين الكاتب شخص المرسل إليه ثم استشهد بالحديث:"قال عثمان بن عفان،وَإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول"منْ بَنى مسْجدا لله تعالى بَنى الله له بيتًا في الجنة"[4]،فنلحظ أن الاستشهاد بالحديث الشريف يكون مطابقا للكلام وخادما لمعانيه .

من خلال ما سبق عمد الكاتب إلى إنارة رسائله بأنوار كتاب الله عز وجل والحديث الشريف، لتكسب الرسائل طابعا فنيا كيف ولا؛والاقتباس يزيد من رونق وصحة الكلام .

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص8.

[2] أبي حسين مسلم النيسابوري،صحيح مسلم،دار طيبة،الرياض،ط1،2006،م2،ص1214.

[3] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص91.

[4] أبي حسين مسلم،المرجع السابق،ص241.

ثانيا:التضمين:

لم يخل فن الرسائل منذ القديم من تضمين أبيات من الشعر والأمثال سواء فصيحة أم عامية،فالتضمين يعدّ ميزة ودليل على ثقافة الكاتب وسعة أدواته الفنية.

وأمّا عن تضمين الشعر فهو"أن يورد البيت من الشعر،أو البيتين،أو أكثر في خلال الكلام المنثور مطابقا لمعنى ما تقدّم من النثر"[1]،ومن خلال هذا التعريف نلحظ أنّ هذه الخاصية لم تغب عن الرسائل،بحيث نجد بعض النماذج سنورد منها:رسالة بعنوان صديقي المناضل محمد يقول:"..وإذا كانت الدنيا ذات تقلب فمن الواجب على الإنسان الأريب ألا يأتمنها ويضع فيها كل ثقته ممتثلا قول الشاعر:

فلا تأمن الدنيا وإن هي أقبلت ** عليك فما زالت تخون وتغدر

حقا وإن قوما يغترون بنعيم الحاضر ولا يكترثون لمستقبل لا يدرون ما يخفي تحت طياته"[2].

لقد ضمّن الكاتب قول الشاعر مباشرة بعد أن تحدّث عن غدر الدنيا ،فتضمين البيت كان كتدليل للمعنى المتقدّم،وكان ظاهراً ذلك التنبيه بعبارة(قول الشاعر).كذلك في رسالة أخرى بعنوان إلى جارنا السيد محسن يقول:"..ومهما يكن من أمر فقد حل أجله ولكل أجل كتاب،نعم لقد دقت ساعة ارتحاله وهو حال كل مخلوق مهما طال به العمر أو نال بغيته من حطام هذه الدار الفانية.ولله در الإمام علي كرم الله وجهه حيث قال:

الموت باب وكل الناس داخله * فيا ترى بعد هذه الدار ما الدار؟

إذ لو كان في هذه الدار بقاء * لكان الأنـــبـيـاء أولـــــى به"[3].

بعد أن بيّن حال الإنسان ولا دوام لحاله على الدنيا الفانية،استشهد ببيتين لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه فلو كانت الدنيا باقية على حالها لكان لأنبياء الله عز وجل مكان دائم فيها .

[1] القلقشندي،صبح الأعشى،ج1،ص274.

[2] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص20.

[3] المصدر نفسه،ص24.

نجد في رسالة أخرى إلى الصديق إسماعيل حيث بدأها بتحية قصيرة ثم استشهد مباشرة بقول شاعر "إليك أطيب التحية وصادق التمنيات،

يقول الشاعر الحكيم: ورحم الله أمرا أبكاني * لكن إلى الخيرات قد هداني."[1].

وتعدّ هذه السمة من السمات التي اعتمدها الكتّاب القدماء بحيث"يَرِدُ الشاهد في مقدمة الرسالة مدخلاً يفتتح به الكاتب النص"[2]،بحيث يبعث في نفس المرسل إليه نوع من الحيرة والدهشة ويشوّقه إلى المزيد،وهذا يعود إلى فطنة الكاتب وغرضه الخفي وراء ذلك.

إنّ الرسائل لم تتضمّن زخمًا كبيرا من الشعر مثل كبار الكتّاب كالجاحظ وابن الخطيب وغيرهم،فنلحظ أنّ الأبيات كان هدفها تأكيد الأفكار، وكثرة تضمين الشعر ينقص من قيمة الرسالة كفن نثري، ويعني أنّ النثر لا يمكن أن يكتسي مكانة إلّا من خلال توظيفه للشعر .

وكما ضمّن الكتّاب الشّعر في رسائلهم...ضمّنوها الأمثال أيضا[3]ولقد عرف عن تضمين الأمثال نوعان تضمين أمثال نثرية وأخرى شعرية .

من خلال تتبع الرسائل وجدنا أنّ خاصية تضمين الأمثال ظاهرة في بعض الرسائل ومنها رسالة بعنوان صديقي المحترم يقول:"..ولا أخفي عليك أنني وإن وجدت هنا أصدقاء جدد لا أستغني عن آرائهم السديدة وأياديهم البيضاء،لم أعثر على أحد مثلك تأنس إليه نفسي ويطمئن له قلبي،لا أقول لك هذا مجاملة أو تظاهرا،وإنما هي الحقيقة والواقع.ومثلك في عقله الكامل وشيمه الفاضلة أجدر بكل محبة وعطف،وفيه يصدق قول القائل:كم أخ لك لم تلده أمك.نعم،ولا تعجب إذا قلت لك إن الصداقة الحقة قد تعوض القرابة..." [4] .

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق ،ص 32.

[2] صالح بن رمضان،الرسائل الأدبية،ص418.

[3] عبد النبيّ القيسي،أدب الرسائل في الأندلس،ص330.

[4] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص7.

لقد أظهر صفات هذا الصديق وما يحمله من عقل وشيم كريمة حتى أصبح كالأخ فالمثل الذي استشهد به يلخّص كلّ ما يدور بينهما من عطف وحب وأخوة،فليس الأخ فقط من تلده أمك،بل أيضا الصديق المميّز هو بمثابة أخ ،لذا كان الاستشهاد بالمثل حامل لمعنى عميق .

كذلك في رسالة بعنوان أخي وشقيقي أ.أ يقول:"..وإزاء هذا التصرف المزري رأيت أن أحذرك مهيبا بك أن تعرف قدر نفسك وقديما قيل:عاش من عرف قدره،إن فضل المرء لا تصنعه السيارة الفخمة ولا الثياب الأنيقة ولا العمارة الرائعة،بل المعارف الجمة والخلال الجميلة وما يقدمه للمجتمع من خدمات مشرفة مفيدة"[1].

التضمين جليّ في الرسالة حيث يحذّر المرسل إليه من التصرفات التي يقوم بها ويقدّم له النصيحة بمثل قديم هو أنّ الإنسان يستطيع أن يعيش حياة سعيدة وهادئة إذا عرف قدر نفسه ورضي بها .[2]

نجد أيضا في رسالة أخرى تضمين لمثل في قوله:"..ولقد وجهنا رسائل لأمثالكم في كل مكان من الوطن العزيز لبلوغ هذا الهدف في أقرب الآجال ومن بين هؤلاء سيادتكم وأنتم كما نعلم أهل للمشاركة في هذا المشروع العظيم لما عرفتم به من سجايا حميدة ومن بينها جودكم الحاتميّ"[3].

أراد في البداية طلب المساعدة فذكّر المرسل إليه بأنّه معروف بالسجايا الحميدة وبما أنّ المرسل إليه يريد مساعدة مادية لبناء مسجد فذكر له من بين هذه السجايا،سجية الجود والكرم،فجعل من صيغة المثل تكون بضمير المخاطب للجماعة (جودكم الحاتميّ) فهذا تعظيم لشخصه،فالصيغة التي ضمّن بها المثل جمالية من جهة،وتخدم الموضوع من جهة أخرى.

كذلك في رسالة بعنوان إلى ابن صديقنا عبد الرحيم حيث يقول:"هب أن أخاك فاز بالنصيب الأوفر من الميراث فما فائدة هذا النصيب إلى جنب أخ يكرهه ويعاديه،أما أنت ففي قناعتك بالنصيب الأقل ضمان لإرضاء أخيك وإبقاء جو العشر صافيا بهيجا،لقد قيل قديما:

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص63.

[3] المصدر نفسه،ص91.

أخاك أخاك فمن لا أخًا له * كساع إلى الهيجا بغير سلاح "[1].

بعد أن نصح صديقه بالتنازل على حقّه والرضا بالأقل للحفاظ على الروابط الأخوية ضمّن مثل شعري"أخاك أخاك إنّ منْ لا أخ له***كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح"[2] مفاده أنّ الأخ هو سلاح أخيه،فمن لا يملك أخ كالذاهب إلى المعركة بغير سلاح،فنلحظ أنّ المثل الشعري يعدّ خاصية فنية ذات وجهين :فهي تزيين للكلام المنثور وخادمة للمعنى المتقدّم .

ولقد ضمّن الكاتب رسائله من الشعر والأمثال ما يخدمه ،حيث يتبوّأ الشاهد المثلي المرتبة الأولى قبل الشعر،وقد يعود ذلك إلى مقام المرسل إليهم،لأنّ المثل يكون شائعا بين الناس بطبقاتهم على عكس الشعر الذي يوجّه للخاصة منهم.

ولقد كشفنا من خلال الدراسة الفنية وتحليلها تعدّد أشكال هيكلة الرسائل سواء من مقدمة إلى عرض إلى ختام،ورأينا أنّ الكاتب لوّن من صيغها،ثم كشفنا عن لغة الرسائل حيث كانت لغة واضحة وبسيطة خالية من الغريب والمحسّنات إلّا ما نذر، ووقفنا على أسلوب سهل،بسيط،تتخلّله بعض الصور البيانية.وأمّا عن الاقتباس فكانت الآيات القرآنية تحتلّ الريادة كاسية المعاني فصاحةً ورونقاً، ليأتي بعدها الحديث الشريف ليقوم بدوره الفعّال كذلك،وبعد الاقتباس يأتي تضمين الشعر والأمثال حيث تبوّأت هذه الأخيرة المرتبة الأولى فكان الشاهد الشعري قليل مقارنةً بالمثل ،وما ينبغي ذكره أنّ الكاتب كانت له خصائص فنية اختصّ بها عن غيره وهي المزاوجة بين التقليد والأصالة"ومهما كانت أوجه الأصالة أو الخلق أو الإبداع أو الابتكار فلابدّ وأنْ يمرّ الأديب أوالكاتب على جسر التقليد"[3]،هذا بالنسبة للشكل فهل سيكون للمضمون حظ ؟

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص45.

[2] أحمد الميداني،مجمع الأمثال،تح:محي الدين عبد الحميد،مطبعة السنة المحمدية،(دب)،1955،ص23.

[3] طاهر توات،أدب الرسائل في المغرب العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط2،2010،ج2،ص173.

بين فن الرسالة والإصلاح ارتباط وثيق، فكانت أوّل وسيلة أدبية لإصلاح الأمة من طرف أول مصلح وهو سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم حيث اتخذ من فن الرسالة وسيلة لتبليغ غايته الإصلاحية.

وظل هذا الفن النثري مذ ذاك في ازدهاره وركوده يحمل-في أغلبه -الإصلاح فالترسل على حدّ قول صاحب صبح الأعشى"على مصالح الأمة وقوام الرعية"[1]وفي العصر الحديث مع انبعاث الحركة الإصلاحية الجزائرية برز الإصلاح بقوة في الرسائل وحقيقة ودون مبالغة كانت حالة الجزائريين آنذاك لا تختلف عن حالة عرب الجاهلية بسبب الأساليب المنتهجة من قبل السلطة الفرنسية الرامية إلى التجهيل ومسخ الهوية وأيضا ظهور الطرقية.

فاستعان زعماء الإصلاح –على خطى قدوتهم-بفن الرسالة إلى جانب الخطابة لإعادة الشعب الجزائري إلى طريقه الإسلامي العربي،وبالتالي "استعاد هذا الفن كثيرا من أصالته فيما يخصّ اللغة والعبارة"[2]وتغير الأسلوب عن القدماء،فأصبح يميل إلى الوضوح والدخول مباشرة في الموضوع،واكتسب أهمية بالغة "تكمن في الموضوعات والأفكار والقضايا التي شغلت رجال الحركة الإصلاحية وخاصة تلك التي تدعو إلى النهوض وإلى محاربة الأمية وتهتم بنشر التعليم وإصلاح المجتمع"[3].

[1]القلقشندي، صبح الأعشى ، ج1،ص60.

[2]عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ،ص 53.

[3]المرجع نفسه ،ص54

المبحث الأول:البعد الاجتماعي

يعتبر من أهمّ وأصعب الإصلاحات وما يؤكّد قولنا هذا هو طغيانه على ضروب الإصلاح الأخرى في هذه المدونة،وقد أدرك الكاتب أنّ إصلاح المجتمع يتحقّق بإعطاء الاهتمام للعلاقات وخاصة الأسرة التي هي نواة المجتمع يصلح بصلاحها ويفسد بفسادها .

أولا:الأسرة:

حاز أفراد الأسرة على نصيب كبير من رسائل إبراهيم بوحميدة فكانت أول رسالة في أول غرض تصلح أهمّ عنصر في الأسرة ألا وهو الولد،حملت عنوان ولدنا العزيز وهي رسالة موجّهة من أب إلى ابنه المغترب ورد فيها "غير أن تغربك هذا وإن كان يشق علينا كثيرا، فيه أكثر من فائدة،فهو إلى جانب التعرف على بلد غير بلدك ومجتمع غير مجتمعك يكسبك خبرات جديدة وتجارب مختلفة ومعلومات مفيدة إذا أحسنت استغلالها وكان لك من عقلك الرزين وذوقك السليم ما تميز به بين جيدها ورديئها ونافعها وضارها،ومن أخلاقك الفاضلة ما يعينك على أخد ما جاد وصلح وطرح ما لا خير فيه ولا جدوى. ولأنت كما عهدتك من حسن الامتثال وصدق المبرة ما يحقق لي كل أمل فيك وفي مستقبلك الزاهر السعيد".

فنجد الوالد واثق بابنه وهي–الثقة– ثمرة تربيته الصالحة لكنّه أيضا واثق من النتائج السلبية للغربة، فالواقع حافل بنماذج لشخصيات ذهبت لترسيخ مبادئها عادت مترسخة باللامبادئ، فوعى الوالد قابلية وضع ابنه للفساد فهرع إلى تنبيهه وتشجيعه على الصمود وتذكيره بمستقبله وبعدما أهّبه من خلال زرع الثقة أضاف قائلا "ولئن كنت أوصيك كأب لا يتمنى لك إلا الصلاح والفلاح، فوصيتي لك أن تلتزم أمورا ثلاثة: تقوى الله تعالى،والتخلق النبيل،ومخالطة الصالحين من أهل العلم وغيرهم "[1] .

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 5.

ونقفز إلى رسالة أخرى عنوانها والدي العزيز يكون الولد فيها هو المرسل في محاولة منه استعطاف والده وتصليح خطئه،الذي تسبب في مغادرة والده البيت مغتاظا وعلة الخلاف رفض طلب الولد، الذي تمثل في ابتياع سيارة ما أثار غضبه وجعله يطلق لسانه بكلمات نابئة أمام والده،يقول في مطلع رسالته"أيها الوالد الكريم كثيرا ما أسمع الناس يتحدثون عنك منوهين بأخلاقك السامية وعقلك الكبير وتصرفاتك الحكيمة،مما جعلني أعتز بك وأحسبني أسعد ولد أنت والده"[1] ما يستوقف المتلقي في هذا المطلع هو الاعتزاز بأخلاق الوالد، فالتربية السليمة لا تقوم على إسداء أوامر ونواهي جافة، بل تقوم على الاقتداء والمحاكاة وعند إدراكنا لهدا ننتج أولادا يعتذرون إذا بدر منهم خطأ واحد ويستعطفوننا بآية من الذكر الحكيم "وإن تعفو وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم"[2].

ومن الرسائل التي تدور في فلك إصلاح الأسرة،تلك التي عنونت ب:أخينا العزيز عبد الله وهي تحمل موضوعا جدّ هام يتمثّل في وجوب ردّ الجميل للوالدة،حيث يعاتب الشقيق الأكبر شقيقه عتابا لطيفا يستهلّه بتذكيره أيام الصبا التي قضوها معا وفضل والدتهما الحنون عليهما "التي كانت تسهر على حياتنا وسلامتنا وتبدل كل جهد في سبيلنا بكل سخاء،وبصفتك الطفل الأصغر،فقد كانت توليك من العناية الحظ الكبير رأفة بك وشفقة عليك ومرت الأيام والشهور والسنوات عليها ولم تقصر يوما فيما تحتاج إليه من متطلبات الحياة المتعددة إلى جانب والدنا رحمه الله،وها أنت الآن بفضل تلك الجهود الجهيدة التي كانت تبدلها من أجلك تعديت سن الرشد وأصبح لك نصيب معتبر من الثقافة التي خولتك منصبا مرموقا بين زملائك"[3] .

وهنا نستشفّ ذكاء المرسل فلم يشدّد خطابه ولم يتسرّع في البوح بالموضوع رغم أنّ الرسالة غرضها العتاب فالأكيد أنّه لم يكن ليعاتب شقيقه لو لم يبلغ السيل الزبى،فبعد استمالة عواطف شقيقه يقول "كلّ هذا النعيم يرجع فضله على أبويك الكريمين فعندما كان والدك حيا كانت أمك لا تحتاج إلى أي شيء منك والآن وقد صارت أرملة فما أشد حاجتها إلينا، إنني طبعا أعينها بما تيسر علي كأب لأولاد كثيرين ولكن إعانتي هذه لا تعد شيئا نظرا لمرتبي الضعيف وغلاء المعيشة وبما أنك

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 47.

[2] إبراهيم بوحميدة،المصدر نفسه ،ص 47.

[3] المصدر نفسه،ص29.

على أيسر حال مني ولما يثقل كاهلك حمل الدرية فمن واجبك ألا تغفل عن والدتك"، لكم هذا السياق متكرر ويتكرر في واقعنا، لكن المنعدم في الواقع هو هذا النوع من المرسلين القادرين على العتاب والإصلاح بهذه اللباقة وهذه الحنكة .

ولم تقتصر رسائل إبراهيم بوحميدة على إصلاح الأسرة الصغيرة بل تعدّاها إلى الأسرة الكبيرة فهاهي رسالة تندرج ضمن غرض العتاب يعاتب فيها ابن الأخ عمه باحترام؛ يعلّله عنوان الرسالة حيث عنونت ب: عمي المحترم وقد طرق فيها موضوعا بالغ الأهمية والحساسية ألّا وهو سن المراهقة، يدرك المرسل أن عمه سيستغرب عتاب ابن أخيه له فيقول "وإنها لكلمة صريحة تدعوك إلى التساؤل: متى كان ولد الأخ يعاتب عمه؟ بل متى كان الصغير يعاتب الكبير؟ ...ولم يعاتبني هذا الفتى؟ "[1] .

ثم يدخل في صلب الموضوع ويخبر عمه عن السبب "إنه تنكرك لولدك الذي ما زال غرا لا يميز بين صالح وطالح،حقا إن الوالد من طبعه يريد له ولدا مطيعا لا يخالف له أمرا ولكن هذا من مقتضيات العقل الراجح والدهن المتيقظ.أما ولدك هذا فما فتئ غضا طريا تتقاذفه كالريشة الضعيفة نسمات المراهقة التي هي أشبه بالجنون" ويرى أنّ الدلال المفرط زاد في تمرّده وأنّه كان ينبغي أن يلزما–هو ووالدته– القصد في دلاله،ثم يطمئن عمه بأنّ حالة ابنه شيء عارض، "سوف يتخلى عنه لا محالة في سن الرشد وقد يتحول إلى طاعة وامتثال" إلا أن هذا التحول يستوجب معاملة المراهق معاملة خاصة ستمنحها لنا الفقرة الموالية "وإن كان اللين محمودا في سائر أطوار العمر،فهو أحمد في سن المراهقة كيلا ينشأ عن نقيضه نفور وتشرد تسوء عواقبه" ولو لم يكن الرفق محمودا لما أوصى به الصادق الأمين.

ثم يختتم رسالته بتوقعه قبول عمه لنصيحته والعمل بها "وكأني بك بعد قراءة رسالتي هذه تغير نظرتك تجاه ولدك هذا وتجعل من لفظك الجارح لفظا لينا لطيفا يكون مفعوله كمفعول المرهم الشافي" .

والحقيقة كذلك فإذا كانت النصيحة نابعة من القلب،وأحسن الناصح اختيار القالب الذي يقدّمها فيه كما أحسن الأستاذ بوحميدة باختياره قالب الرسالة فالأكيد أنّها ستهضم بكلّ يسر.

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 30.

ونبقى في غرض العتاب وفي إصلاح الأسرة لكن المتجدّد كالعادة هو المواضيع الإصلاحية المطروقة فها هو أستاذنا يحاول إصلاح خطأ يقع فيه أغلب الأولياء وهو الرغبة في إنشاء أولاد نسخ منهم ك:حضرة السيد أبي القاسم –هذا عنوان الرسالة –الذي شدّد موقفه ورفض التحاق ولده بشعبة الرياضيات لأنّه يريده أن يكون طبيبا مثله وسنعرض القضية في هذه الفقرة من الرسالة: "لقد ذكر لي أنه يريد الالتحاق بشعبة الرياضيات لتمكنه من هذا العلم الخطير، ولكنه اصطدم بمعارضكم(بمعارضتكم) إن المسألة ليست مسألة اختيار بين هذا العلم وذاك،وما هي بمجرد توجيه عفوي يقوم به الوالد حسب إرادته وهواه،إنما هي الميل الذهني وكل مسير لما خلق له، أنا موقف(موقن) أنكم بتوجيهكم إياه إلى شعبة العلوم الدقيقة،تقصدون تخصصه في مهنة الطب مثلكم،وهذا شيء جميل،ومادام لا يأنس من نفسه القدرة على مباشرة هده المهنة الشريفة فما فائدة توجيهه إليها؟"[1] وما يزيد استمرار الوالد في تشدّده إلّا مقت الولد للدراسة بكلّ شعبها، والعصيان والتمرّد على الوالد .

ومازالت الأسرة تتمرّد علينا وتمنعنا بتعدّد قضاياها من الانتقال إلى فرع آخر من البعد الاجتماعي،والآن قضية تتعلق بالعلاقة بين الزوجين وهذا ما تطرّقت إليه الرسالة المعنونة بـ:إلى أحسن رفيق محمود التي يرشد فيها المرسل رفيقه إلى الكف عن إهانة زوجته وإهمالها وكما نعلم في واقعنا يعتبر هذا من الخصوصيات ولا نملك الجرأة للإرشاد؛تخوّفا من ردة فعل الشخص المراد إرشاده،وهنا نفتح قوسا يخص أهمية المكاتبة أبرزه المرسل في المقدمة في قوله"كم من مرة أحاول اللقاء بك في أمر يهمك طبعا لكنني أمتنع خشية الاصطدام معك فيما لا تريد سماعه،فرأيت من اللائق أن أكاتبك تفاديا للنزاع"[2]،فالمكاتبة تحول دون وقوع الصراع واحتدامه،وبالتالي تحول دون فشل الهدف الإصلاحي.

وقد كان الهدف هنا إصلاح العلاقة بين أهمّ دعامتين للأسرة ونجاح العلاقات السابقة حتما مضمون إذا استقامت العلاقة بين هاتين الدعامتين ،ووجد بينهما ذلك الخيط الرفيع من الاحترام وهذا الأخير لا يتجسّد إلّا إذا وعيا أنّ الزواج إتمام للدين وصون للشرف،وقد ورد غرض

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 31.

[2] المصدر نفسه ،ص 41.

الإرشاد في هذه الرسالة كما يلي:"فلتعرني انتباهك بعد وضع الكبرياء جانبا لقد سمعت فيما يقال أنك تهين زوجتك ولا تهتم بها مع أنك أنت الذي اخترتها لك خليلة فلماذا هذه الإهانة يا أخي".

اللافت في هذه الفقرة هو التذكير بفردية الاختيار التي تقتضي الصبر والرضا، وهو في نفس الوقت تحضيرا للمرسل لتقبّل الآتي من النصح والإرشاد الذي كان ما يلي"ولعلك تجهل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: أوصيكم بالنساء خيرا فلو التزمت جانب التعقل ولجأت إلى قليل من الصبر لعدت بها إلى الجادة...إذ لا شيء أنفع وأجدى لضمان العشرة الطيبة من اللين وحسن المعاملة،فإذا كانت القسوة لا تفيد مع الشخص الفظ الغليظ فاستعمالها مع الضعيف من باب وضع الشيء في غير محله."

ونجد السمة البارزة في الرسائل -باختلاف أغراضها-هي التأكيد على المعاملة بالمعروف والرفق واللين باختصار الأخلاق الحميدة وتناولت جل أفراد الأسرة .

ثانيا:الصداقة:

من أنبل وأسمى العلاقات ومن معانيها الوفاء،والمساعدة،والنصيحة،والبدل،والمواساة،والجود وقد استحوذت هذه العلاقة هي أيضا على عدد لا بأس به من الرسائل لم يكن الأستاذ أبوحميدة ليخصّها بالعناية إلّا لملاحظته افتقاد هذه اللفظة لكثير من معانيها،وإحساسه بمثل إحساس الخوارزمي أبا بكر محمد بن العباس الذي قال "اللهم نفق سوق الوفاء فقد كسدت، وأصلح قلوب الناس فقد فسدت "[1]ولذلك تحرّكت براعته وشرعت في كتابة عدد من الرسائل التي وإن اختلفت أغراضها فمسعاها واحد هو الرغبة في إعادة هذه العلاقة إلى طبيعتها يقول في رسالة بعنوان:صديقي المحترم "إن الصداقة الحقة قد تعوض القرابة إن لم تتوفر فيها الصفات اللازمة.

وإن الصديق الوفي له مكانته المرموقة عند نظيره الذي لا يرضى به بديلا،إن المسألة مسألة أخلاق والأخلاق وحدها هي الكفيلة بزرع بدور الألفة بين الجماعات فضلا عن الأفراد المتفرقين"[2] فالوفاء من ضروريات الصداقة ولا يمكن أن يبلغ هذا الشعور السامي ويحقّقه إلّا الإنسان المتخلّق،والصداقة الحقة تقتضي الأخذ باليد والنصح عند نزول الابتلاء أو الامتحان بالصاحب .

وهذا ما أرادت الرسالة التي تحمل عنوان عزيزي خالد ترسيخه في متلقيها العام الذي يمنع نفسه من التدخّل في التغييرات السلبية التي تطرأ على سلوكيات صديقه بدعوى الحرية الشخصية،حيث يبعث المرسل برسالة إلى صديقه الذي حالت المسافة دون اللقاء به قصد إرشاده وإعادته إلى جادة الصواب لأنّه حال عنها وورد هذا الإصلاح بطريقة لينة كعادته، مستنا بقول عمر بن عبد العزيز:

وإذا أخ لي حال عن خلق *** داويت منه ذاك بالرفق[3]

[1]أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق ،تح:إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر ، بيروت، ط1،1998،ص2 .

[2] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص7.

[3] أبو حيان التوحيدي، المرجع السابق،ص 18.

فاستهلّ الرسالة بتبليغه تحية لطيفة كالنسيم شدية كالورد الباسم وقبل أن يلج إلى إرشاد عزيزه خالد، باح له بحبه تحضيرا له لقبول الإرشاد والنصح وإن كان النصح بين الأصدقاء لا يحتاج إلى مقدمات لأنّ تقبّل النصح من الصفات الضرورية للصاحب على حدّ قول الشاعر:

إذا كان مجبولا عن النصح صاحبي *** عفا النصح عما زل من حيث لا يدري[1]

فقال المرسل "أخي العزيز أنا أحبك كثيرا وأحب من يحبك لكنني لا أريدك إلا صالحا،ولا أظنك إلا عارفا ما أعني بهذا الوصف الجميل إنه الاستقامة والاعتدال في كل. إن قيمة المرء ليست فيما يأكله أو يلبسه أو في السكن الرائع الذي يأويه،إنما قيمته فيما يتحلى به من سجايا فاضلة،وأين هذه السجايا عندك؟ أهي في شرب الخمر وفي لعب الميسر؟ فبغض النظر عن كونهما محضورين كتابا وسنة، فإن فيهما الضرر الكبير والخطأ الفادح،ففي الخمر فساد العقل وهلاك الجسم وفيها تبذير المال وتلطيخ العرض، وفي القمار ضياع المال والوقت معا، وفيه خصام فعداوة فاقتتال ولا تنس ما ينشأ عنهما من إهمال للأسرة وتشتيت للشمل وتعرض لأبشع العواقب في آخر المطاف،فلو كنت أيها الأخ تتصور كل هذه المهالك تعلم والمآسي التي تسببها الخمر والميسر ما كنت لتقدم على محلاتهما الكريهة"[2]

لاشك أنّ هذه الرسالة سترسّخ في المتلقي معنى الصداقة الحقيقي من خلال الدقة في انتقاء الموضوع والعنوان والسلاسة في الولوج إلى العرض والقدرة على تهيئ المرسل إليه لقبول غرض الإرشاد بصدر رحب.

[1]،المرجع نفسه، ص.168

[2] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 42.

ثالثا:الإدراة

مع انصباب اهتمام الكاتب بالإصلاحات المعنوية؛لأنّه كان مؤمن أنّها هي لب الإصلاح الحقيقي،لكنّه أيضا كان يطمح إلى تحقيق الانسجام بين الشؤون المادية والمعنوية لابن بيئته فلم يهمل الإصلاح المادي فها هو يطالب مدير النقل العمومي بضرورة تخصيص حافلة تيسر تنقّلهم،فبعد تقديم الشرف من سكان البلدة إلى السيد المدير،يشرع في تقديم عرض موجز عن البلدة "..إنها تبعد عن مقر الولاية بنحو عشرين كيلومتر،ورغم موقعها الجميل ووفرة وسائل الرزق فيها،وكثرة أهاليها فلا تزال تعاني متاعب كثيرة في تنقلها بين البلدة ومقر الولاية...فلهذا لنا سيادة المدير أن نكاتبكم مطالبين بتخصيص حافلة على الأقل تكفل لنا التنقل بصفة منتظمة دائمة ولكم الشكر سلفا."[1] .

فالكاتب موقن بمدى فائدة هذه الحافلة بالنسبة لسكان البلدة فهي تقرب المواطن المعزول من مراكز الولاية فتتيسر حياته في عدة مجالات كالدراسة والعمل .

ويواصل الكاتب إصلاحه الاجتماعي وهذه المرة يطرق أهم جهة رسمية في رسالة بعنوان حضرة السيد مدير الشؤون الاجتماعية فيقترح عليه إنشاء مأوى للأطفال الأيتام،مستهلا رسالته بأسلوب يفرض على المرسل إليه تقّبل مضمون الرسالة "يشرفني أن أنبهكم على شيء قد تكونون غفلتم عنه أو شغلتكم الأعمال المتفاقمة عن التفكير فيه"[2].

ثم يبدأ في سرد علل طلبه هذا التي تمثلت في حوادث السيارات وحوادث العمل والأمراض الخطيرة التي تؤدي إلى الوفيات أو الأعطاب ويخصّ بالذكر أرباب العائلات الذين يتركون وراءهم أطفالاً صغاراً محرومون من الحنو والرزق،ثم يبوح بطلبه قائلاً:"ونظرا لهذه الظاهرة المؤسفة رأيت أن أنبهكم على ضرورة تكوين مأوى للأيتام يقيهم شر التشرد والتصرفات الدنيئة ويكفل لهم عيشا هنيئا إلى أن يبلغوا سن الرشد علما بأن هؤلاء متى حفظوا من آفات التشرد وغدوا بألبان التربية الصالحة،عادوا على وطنهم بالنفع العميم"

[1] إبراهيم بوحميدة ،المصدر السابق،ص102.

[2] المصدر نفسه،ص120.

المبحث الثاني: البعد الديني:

لقد درج الأدباء والكتّاب على مرّ العصور على معالجة موضوعات ذات بعد ديني،سواء تتعلّق بالعبادات :كالحج والصوم ...الخ،أم المعاملات:كالأعمال الخيرية،الجوار...الخ ،لأنّهم ضمير الأمة وعيونها المترقّبة لواقعها وكلّ ما يستجدّ به.

أولا:الحج:

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام،وهو شعيرة من الشعائر الدينية التي يتمنى كلّ مسلم بلوغها،ويهرع أقاربه إلى تهنئته قبل توجّهه إلى أطهر أرض وعند عودته منها.

فنجد رسالة في هذا الصدد بعنوان:إلى أعز الأصدقاء علي حيث يهنّئ المرسل الذي هو على أهبة زيارة بيت الله عز وجل في قوله:"..ولكم وددت أن أكون بجانبك لأودّعك قبيل اتجاهك إلى ذلك التراب المقدّس الذي ظل منتهى أملك منذ أمد بعيد،ولئن كانت الظروف قد سمحت لك بذلك،فإنّما هو توفيق من الله تعالى،ولا غروَ أن ثوابك سيكون عظيما يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وإذ...وأنت بين أناس من كل جنس ومن كل لسان،تتصور أنك في عالم غير عالمنا هذا وفعلا هو عالم التقوى والخشوع والتجرد من أعراض الدنيا الفانية والانقطاع إلى الحي القيوم الذي لا يموت...تحت راية الإسلام دين المحبة والرحمة والإخاء،لا فرق بين أبيضهم وأسودهم ولا أحمرهم وأصفرهم فيما يصلح حالهم ويكفل لهم الحياة السعيدة الأبدية يوم القيامة أيها الأخ الكريم ،لتعتبر نفسك سعيدا في ذهابك وأنت تشوق إلى زيارة بيت الله،وأسعد في عودتك بحج مبرور وذنب مغفور"[1] .

من خلال هذه الرسالة يظهر أنّ الحج هو مكان غير كلّ الأماكن،فالكاتب هنا يريد أن يصلح الذي هو على أهبة زيارة الحج،فهناك عادات جرت في المجتمع هي أنّ الحاج لا يهيّأ روحيا من إرشاد ووعظ،وبوحميدة يريد معالجة هذا الموضوع من خلال رسالته فيبدأ أوّلا بتنبيه

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 18.

الصديق أنّه لولا توفيق الله عز وجل ما كان له سبيل،فهناك من يجعل الماديات هي سبيل الذهاب.

وأهمّ شيء ركّز عليه الكاتب هو التجرّد من كلّ مظاهر الدنيا فطهارة القلب هي المبدأ،فاعتاد الحاج هو الروح الطاهرة والزاد الكثير من العبادات والمعاملات السوية،فوجه الإصلاح الديني هو إرشاد الحاج والتحضير الروحي،ويعتبر هذا الموضوع جوهري لأنّه يمسّ أعماق شخصية المسلم .

ثانيا:الطُرقية :

لقد ظهرت الطرقية في عهد الاستدمار الفرنسي حيث تفشّت مظاهر الشرك واتّباع أشباه العلماء،وظهرت جمعية علماء المسلمين كنهضة إصلاحية كاملة"وهي انتزاع الشعب الجزائري من مخالب سلطتين...السلطة الروحية الطرقية"[1]وهي ظاهرة استعمارية وما تزال هذه الظاهرة متفشية في مجتمعنا.

فحاول الأستاذ بوحميدة معالجة الطرقية ومظاهر الشرك ونجد ذلك في رسالتين _طلب ورد_أمّا الطلب فكان فيه دعوة إلى التصدّق في قول المرسل(حضرة السيد الفاضل خ.س)"..أيها السيد المحترم اسمح لي أن أقدم لك نفسي كأحد أعيان قريتنا الحبيبة أنا ابن صديقك ص ك الذي تعرفه كل المعرفة وقد سبق لك أن زرت معه بيت الله حاجا ومعتمرا،وإذا كنت أوجه إليك هذا الخطاب الذي أرجو أن يصلك في القريب العاجل،فلأنني أردت أولا أن اثني عليك لسجاياك الحسنة ومواقفك المحترمة،فيما يعود على مجتمعك بالخير والصلاح،ثم لأحيطك علما بأننا عازمون بحول الله على القيام بالصدقة السنوية ترحما على ولي قريتنا الذي تعرف اسمه ونسبه،وكما تعلم أننا سندعو إليها كل الوجهاء والأعيان من أهل الناحية ومن نواحي أخرى،الأمر الذي يستلزم مبلغا كبيرا يشترك فيه أمثالك من المحسنين الذين رزقهم الله فاضلا من المال...إذ لا يغيب عنك أيها الخ(الأخ)ما لهذه الصدقة من قيمة لا ينكرها إلا جهول، فهي ترفع شأن القرية وتجمع الشمل وتصبح حديث الخاص والعام"[2] .

من خلال هذه الرسالة يتبيّن أنّ الدعوة لكلّ الناس وهي دعوة إقامة صدقة سنوية رحمةً لولي قرية ومن المدعوون لها؟"كلّ الوجهاء والأعيان"،من خلال المحتوى الموضوعي للرسالة نلمس نقد وإصلاح مباشر حيث أنّ الصدقة تكون للفقراء والمساكين وهنا ذكر أنّ الدعوة وجّهت إلى وجهاء وأعيان وكيف تكون صدقة والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ

[1] عبد الملك بومنجل،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي،ص76.

[2] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص89.

ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ الآية:60،سورة التوبة ،فهذا مخالف لقول الله عز وجل،ثم يجعل سبب إقامة الصدقة التباهي ورفع من شأن القرية في قول المرسل"..فهي ترفع شأن القرية وتجمع الشمل وتصبح حديث الخاص والعام"، ومتى كانت الصدقة رمز للتشهير والفخر،والأجر العظيم في إخفائها.

فلقد أراد من خلال هذه الرسالة عرض مظاهر التخلّف والجهل في المجتمع حيث وبطريقة غير مباشرة ناقش قضية دينية ومنها اجتماعية .وفي الرد أي الرسالة الثانية نجد فيه أيضا إصلاح بنقد لاذع ويمكن أن نعرض مقاطع منها في قول المرسل إليه(حضرة ابن الصديق ط.م)"..كما ذكرت لي في قضية الصدقة التي تنوون إقامتها كسابقاتها هذه السنة،أقول لك بكل صراحة:ليست هذه بصدقة بأتم معنى الكلمة لأنها في غير محلها، أنا لا أقصد طبعا ذلك الولي الورع ولكني أقصد الذين يدعون إليها،فقد قلت في خطابك إنكم ستدعون الوجهاء والأعيان،وهؤلاء فيما اعتقد ليسوا ممن يتصدق عليهم،أنسيت قوله تعالى:إنما الصدقات للفقراء والمساكين...وعلى فرض أن يوجد هؤلاء فقراء فهم لا يتجاوزون أطراف الأصابع،وإذا ما نال أحدهم لقمة من الكسكس واللحم،فقد يضيع من أجلها أجرة يوم كامل قد تكفيه لمصروف ذلك اليوم هو وأبناؤه،فيكون إذن ضرر هذه الصدقة أكثر من نفعها بالنسبة إلى هؤلاء "[1].

فلقد كان الرد صريح ومباشر من خلال مقطع الرسالة،فأول شيء نفى أنْ تكون تلك بالصدقة لأنّها لا تكون إلّا للفقير والمسكين واستشهد بقوله تعالى،لتكون حجته قوية،ثم يضيف سلبية أخرى وهي أنّ الفقير يضيع يوم لينال لقمة من الكسكس واللحم عوض من ذلك يستطيع أن يعمل ويؤمّن لأبنائه أجرة يوم كامل فتكون الصدقة ضارة لا تسدّ عطش وجوع الفقير ثم يضيف في قوله:"..ماذا تعني ألعاب الفروسية على نغم المزمار والطبل؟فهل هي من مقتضيات الصدقة؟ومتى أباحتها الشريعة في المقبرة حيث الخشوع والدعاء الصالح؟فمن حقكم أن تسموها مهرجانا للتسلية والنزهة ولكن في غير ذلك المكان دون أن تنسب لذلك الولي المحترم،وأنا متأكد أن هذا الأخير لو كان حيا لمنعكم من أمثالها منعا قطعيا،لا لأنها تحمل طابعا غير طابعها الأصلي فقط،بل لأن فيها تبذيرا للمال وهو المنهي عليه في صريح الآية" يشدّد الكاتب في المقطع السابق لهجته الخطابية حيث

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق، ص 90.

يوجّه أسئلة غرضها التعجب والإنكار فينكر أن تكون ألعاب الفروسية بالإضافة إلى المزمار والطبل تابعة للصدقة كما أنّها محرّمة في الشرع فللمقبرة حرمتها ويؤكّد أنّ الولي لو كان حيّ لما قبل حدوث كلّ هذا،كما أنّها تبذير للأموال محض تبذير.

من خلال هذه الرسالة نلمس إصلاح ديني واجتماعي فالكاتب بأسلوب من الموضوعية والمباشرة والوضوح أراد الحدّ من أفعال أهل الضلال والطرقيين،وتصحيح نظراتهم الخاطئة؛ ولقد ختم إصلاحه هذا بوضع البديل الصائب وهو في قوله"وبدل أن تصرف تلك الأموال الكبيرة فيما لا يفيد،فلم لا تجمع في صندوق ينتفع منه الفقراء والمساكين والطلبة كلما ألجأتهم الحاجة إليه؟فإن فعلتم هذا فأنا أتعهد لكم بأكثر مما طلبتموه" لقد جعل حلّ يرضي الجميع وهو جمع الأموال في صندوق للفقراء وبما أنّه مصلح وأديب لم ينس طلبة العلم فهم أيضا بحاجة أيضا إلى صدقة وما أعظم أجرها.

وفي مثل هذا الموضوع نجد مقال بعنوان(تعالوا نسائلكم)للمصلح والأديب البشير الإبراهيمي يتحدّث عن العامي والطرقيين الذين يريدون"أن يشرككم مع الله في الدعاء أو يدعوكم من دونه،وأن يلتجئ إليكم حتى فيما هو من خصائص الألوهية،وأن يشدّ الرحال إلى بيوتكم "[1] .

لقد عرض بوحميدة موضوع الطُرقية بالحكمة وبالوعظ والنصيحة، لأنّه يعلم ضررها على المجتمع كما بيّنها زعيم الإصلاح ابن باديس حين قال:"..حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها –علم الله–من بلاء على الأمة من الداخل ومن الخارج فعملنا على كشفها وهدمها"[2].

[1] عبد الملك بومنجل،المرجع السابق،ص79.

[2] عمّار الطالبي،آثار ابن باديس،الشركة الجزائرية،الجزائر،ط3، 1997،مج2: ج2،ص367.

ثالثا:الجوار:

بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم مكانة الجار وحقّه،وموضوع الجوار موضوع ديني،وكلّ ذو تخصص ينهل منه على حسب نظرته ومنطلقاته الفكرية .

ومن خلال الرسائل التي بين أيدينا نجده حصل على عدد لابأس به،ومن بين هذه الرسائل رسالة توضح سوء تفاهم حدث بين ولدين ويعتذر أحد الوليين لجاره عن هذا الشجار كي يحافظ على روابط الجوار فكثيرا ما نجد جيران يتشاجرون بسبب تصرفات الأطفال فيقول في رسالة بعنوان حضرة الجار الموقر السيد هاشم"..سمعت خبرا أقلقني كثيرا بل ملأ قلبي غيظا وأسفا،وهو أن أحد أبنائي في أثناء مباراة رياضية شح ولدك عند الازدحام على الكرة،ولا ادري ما إذا فعل هذا عمدا أم فعله خطأ،إلا أنك كما سمعت رجحت جانب العمد بدعوى أن هناك سوء تفاهم بين الولدين،الشيء الذي جعلني في حيرة من أمرهما لأنني عندما كنت مقيما بالقرية،ما رايتهما يوم يتشاجران أويسمع بعضهما بعضا كلمة سوء،بل كانا يتقاسمان طعامهما كأخوين شقيقين،لا بد أن يكون هناك ولد آخر اختلق تهمة الاعتداء وألصقها بولدي حسدا وغيرة ومهما يكن من أمر فأنا لا أبرئ ولدي من هذه الفعلة الشنيعة ولا اعتبره ملكا معصوما،وإن ولدك لشريكه في محبتي ورحمتي كمؤمن يحب الخير للجميع فإن كان ولدي هو الظالم،فليقتص ولدك منه ولا أبالي وإن تفضل بالعفو فأجره على الله.وحرصا على دوام روابط الإخاء والجوار التي تجمعنا أقدم اعتذاري وتحيتي وتقديري الفائقين"[1].

فالإصلاح الديني ظاهر حيث يعالج موضوع الجوار فلقد شاع في مجتمعنا كثيرا شجار الجيران من أجل الأولاد والأشياء التافهة،كما أن وصية الرسول صلى الله عليه وسلم عن الجار أصبحت مجرّد كلمات تردّد،لذلك جعل من هذه الرسالة نموذج لكلّ مسلم .

نجد كذلك رسالة أخرى تعالج موضوع الجوار من خلال نهي وذم ما يفعله أولاد في ملك جارهم،فهذا تعدي على حرمة الجار وظلمه،فرابط الجوار إذا قطع يحاسب القاطع في الدنيا والآخرة حيث يقول المرسل:"فقد قيل لي إنك تغض الطرف عن أبنائك الذين يتسربون إلى بستانه حالة غفلة

[1] إبراهيم أبوحميدة،المصدر السابق،ص 38.

أو أثناء غيابه،لا تظنه تقدم إلى شاكيا ولا متبرما كما يفعل غيره من أهل الحي،ولكنها شهادة شهود عيان، وإذا كان الاعتداء على الجار عملا يتنافى والأخلاق الحميدة ويأباه كل عاقل منصف فهو أقبح وأنكر إذا عومل به رجل متعفف نزيه كجارك هذا ثم ما فائدة امتلاك بستان يستغله الآخرون على مرأى ومسمع من صاحبه، فإن كان هذا قد ألجمه الحياء عن ذكر ظلامته فلم لا تستحي أنت وتخلصه من أذى أبنائك،وإنه والله لعار ويا له من عار،إن الأبناء طبعا من سماتهم الطيش خصوصا في سن المراهقة،ولكن ذلك لا يحدو بهم إلى العدوان إذا اخصوا بالرعاية والحراسة الكاملة تصور لو أن هذا الجار تقدم بشكواه إلى السلطة فكيف تكون العاقبة؟..."[1].

فهو يرى ظلم الجار وغض البصر عن الفساد يعدّ عار ويا له من عار،بأسلوب مباشر وواضح طرح موضوع الجوار، وهمّ بإصلاح هذه العلاقة من خلال الاستشهاد من قول الله عز وجل والحديث الشريف.

وكذلك نجد رسالة أخرى تتناول موضوع الجوار بحيث يكون الموضوع هو أخذ حق الجار وظلمه ونورد مقطع من هذه الرسالة بعنوان:إلى خالي ن.ز يقول:"..جاءتني رسالة من جار لك يشكو غمطا في حقه فيما يخص الحقل الذي اشتركتما في ابتياعه بثمن دفعتماه مناصفة، على أن يكون حظ كل منكما مساويا لحظ الآخر،إلا أنك لم تعدل في قسمة الحقل،حيث أخذت أكثر من نصيبك مستوليا على الناحية الخصبة الوفيرة الإنتاج..." [2]،فهذا يدل على الظلم وعدم المساواة فمن خلال هذا المقطع يظهر لنا الكاتب أخذ حق دون عدل ومناصفة ثم يضيف "فاعلم أيها الخال العزيز أن روابط القرابة مهما قويت،لا تمنعني من كلمة الحق ...ولا أبالي بغضب القريب إذا رأيت الحق عليه لا له،إن الحق مر لا يطيقه إلا رجل حر".

فالإصلاح يكمن في الوقوف مع الحق بغضّ النظر عن القرابة،فالكاتب يوجّه رسالة إلى كل قريب للنهي عن المنكر ولو كان الأخ،لأنّ الله عز وجل حرّم الظلم،والساكت عن الحق شيطان أخرس.

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 78.

[2] المصدر نفسه،ص81.

لطالما كانت مكانة الجوار مثالية وستظلّ،طالما هناك أخلاق حميدة ومصلحون ينهون عن الظلم ويحثّون على الصلات الخيّرة .

رابعا:إصلاح ذات البين:

من مواضيع الإصلاح الديني؛إصلاح ذات البين والأقارب فديننا الحنيف جعل لصلة الرحم حدود وحذّر من قطعها وهناك بعض الرسائل حاولت إصلاح هذه العلاقة التي طرأها الكثير من الإهمال.

سنورد رسالة في إصلاح صلة القرابة بعنوان:إلى ابن الخالة سعيد حيث يناقش الكاتب موضوع خلق النميمة بين الأقارب وقطع الصلات فيقول:"كثيرا ما كنت استمتع برسائلك الشيقة التي ما انفكت تتهاطل علي تباعا حاملة إلي أخبارك المطمئنة السارة مع أخبار أخرى عن الشؤون البلدة الهامة.لكنني فوجئت بانقطاع طارئ ما كنت أعهدك منك قط،مما سبب لي قلقا وحيرة لا أستطيع وصفها ...لكن أحد القادمين من البلدة أخبرني مؤخرا أن نماما خبيثا حمل إليك عني حديثا منكرا قصد الإفساد بيني وبينك،وبكل أسف حملت كلامه على الصدق وأنت تعرف أن الذي يسعى بين اثنين كاذب لا يصدق...ولئن كنت أعجب فما أكبر عجبي من شاب متعلم مثلك ينجر مع كذب نمام تافه لا إيمان له ولا ضمير،ويقاطع أقرب الناس إليه وأحرصهم على خدمته وإرضائه،فلو كان لك قليل من التروي لأدركت إفك هذا الرجل الخبيث الذي هو جدير بالقمع والإعراض،وإن كان له من غرض فإنما هو إيقاد نار الفتنة..."[1] .

ووجه الإصلاح هنا يكمن في عدم الإصغاء إلى قاطع الصلات،فمهما كانت كلمات الغير لا يجب سوء الظن بالقريب خصوصا إذا كنت تعرفه وتعرف أخلاقه.

كما نجد أيضا رسالة بعنوان إلى ابن الصديق عبد الرحيم يعالج قضية دينية والجهل بها وهي النزاع عن الميراث،وكسر رابط الأخوة بسبب المادية والأنانية لأنّ الجهل بالحقوق والواجبات التي بيّنها الله عزّ وعلا يؤدّي إلى الضغينة والبغضاء،ويظهر الإصلاح في قوله"..إلا أن خبرا سيئا بلغني عنكما أعنيك أنت وأخاك،إنه خبر الشقاق الذي وقع بينكما،وإلى الآن لا أدري سببه.فإن كان من أجل مخلفات أبيكما فما هي قيمة هذه المخلفات بإزاء بقائكما متحابين متفاهمين لا نزاع ولا خصام،وإن

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 33.

فلا ينبغي أن يؤدي بكما إلى هذه المقاطعة التي صارت بها عشرتكما جحيما،هب أن أخاك فاز بالنصيب الأوفر من الميراث فما فائدة هذا النصيب إلى جنب أخ يكرهه ويعاديه،أما أنت ففي قناعتك بالنصيب الأقل ضمان لإرضاء أخيك "[1].

يرى أنّ الإصلاح والصلح لا يكون إلّا بالرضا والتنازل للمحافظة على رابط الأخوة،فالعبرة ليست بالنصيب الأكثر والأخ المعادي بل بالحفاظ على الصلة التي لها فوائد في الدنيا وأجر كبير في الآخرة،كذلك أعطى الكاتب صورة أخرى عن الإصلاح من خلال العنوان يظهر أنّ المرسل هو صديق لأب الأخوين،بمعنى أنّ المصلح لا يكون فقط إمام أومرشد بل يكون أيضا من الرفاق والأصدقاء،فلو كان كلّ ذو عقل وأخلاق يقول الحق ويكون مصلحاً قولا وفعلا لما زادت فجوة النزاعات.

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 45.

خامسا:بناء مسجد:

يعدّ بناء المسجد من الصدقات الجارية، وأجر المتصدّق أعظم عند الله عزّ وجل،وقد يكون بناء المسجد فتنة أيضا حيث يظهر ذلك من خلال رسالة بعنوان حضرة السيد ث.ح وهي بمثابة رد عن رسالة أخرى، فبناء مسجد شيء عظيم لكنّ الموضوع الذين يريد إصلاحه هو تجنّب الفتن.

فلقد وضّح في البداية ترحيبه بالمشروع،لكن هناك سلبيات كثيرة بحيث اقترح التوسيع بما أنّ هناك مكان فلقد شاعت ظاهرة وهي بعيدة كلّ البعد عن ديننا وهي التباهي بالمساجد وتفضيل واحد عن واحد ومنذ متى وأصبحت بيوت الله مصدر للافتخار والتكبّر؟وهنا الفتنة كلّها،يقول في نص الرسالة"..أخشى الخلاف الذي سينشأ بينكم عندما يكون لكل جماعة مسجدهم الخاص فيقع التباهي والتنافس والتباغض أحيانا،ومن هنا تبدأ الفتنة،والفتنة أشد من القتل...إن الجامع ما سمي جامعا إلا ليجمع صفوف المؤمنين ويؤاخيهم ويوحد كلمتهم..."[1]،لقد اقتصّ الكاتب موضوعه من صلب الواقع لينصح ويرشد الناس لما فيه خير وصواب،ويعتمد في ذلك الحجة والحكمة والموضوعية لأنّ مثل هذه الموضوعات الإصلاحية خاصة،تتطلب الموضوعية والمباشرة .

لقد قطف الكاتب موضوعاته الإصلاحية الدينية من عمق المجتمع،لينير درب الناس ويكشف أهل الجهل والضلال،وبوحميدة كان يعبر عن الواقع بعفوية ووضوح وصدق،دون تكلّف أومغالاة،وجعل لكل مضمون ديني نموذج لمن أراد الإصلاح.

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص92.

المبحث الثالث:البعد التربوي التعليمي:

التربية أساس كلّ أمة حيث لا تعليم دون تربية والعكس صحيح،ولطالما حرصت الأمم على إصلاح منظوماتها التربوية وسعت إلى تطويرها،لأنّه لا يخفى على أيّ أحد أن أساس النهوض والارتقاء لا يكون إلّا بالتربية والتعليم، فصلاحهما هو صلاح للأمة ،وفسادهما فساد وهدم لها.

وبما أنّ "الأديب ضمير الأمة،وصدى همومها وأمالها،ولسانها المعبّر عن معاناتها وطموحها،يرصد جوانب الخير والشر فيها"[1]لم يهمل أبوحميدة موضوعات ذات البعد التربوي التعليمي حيث تناولها على عدة وجوه،وفصل كلّ موضوع على حدا أمر صعب وعسير ورغم ذلك جعلنا ثلاثة محاور أساسية وسنأتي على ذلك.

أولا: التربية:

موضوع التربية من أصعب الموضوعات لضرورتها في جميع مناحي الحياة وسعادة الأمة لاتكون إلّا بحسنها على حد قول رفاعة رافع الطهطاوي حين قال:"فالأمة التي حسنت تربية أبنائها،واستعدوا لنفع أوطانهم هي التي تعد أمة سعيدة وملة حميدة"[2]، ومن خلال الرسائل وجدنا أن موضوع التربية ينبض.

حيث نجد الكاتب في رسالة تندرج ضمن غرض التشجيع بعنوان:تلميذنا القديم أ.ح يعرض لموضوع التربية؛بحيث يبين أنّ التربية تبدأ من الأسرة أولاً في قوله"لقد كان والدك رحمه الله كثير القلق عليك لأنه يخشى رسوبك في الدراسة وهو أحرص الناس على تعليمك وتهذيبك،ولقد كنت دائما أطمئنه وأقول له:لا تقلق فسيكون لولدك هذا شأن في المستقبل،وكان يتقبل كلامي عن مضض،لأنه

[1] عمر بن قينة،في الأدب الجزائري الحديث،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، ط2 ،2009،ص62.

[2] رفاعة رافع الطهطاوي،الأعمال الكاملة ،تح:محمد عمارة،دار الشروق،القاهرة،(دط)،2010،ج2،ص317.

كان رجلا جديا لا يؤمن إلا بالمحسوس البين"[1] فلقد أظهر مكانة الأسرة وقيمة التشجيع والحرص على الأبناء ووضع الثقة فيهم،ولاشك أنّ الجو النفسي والأسري هو الأرضية الصلبة التي تنمو عليها التربية الحقة فالإصلاح يبدأ من الأسرة،ثم ينتقل إلى المربي أو المعلم فكلّما كان متصلا بالتلميذ اتصالا روحيا ومعرفيا وينمي مهاراته،كي يجعل منه شخصًا ناجحا واثقا حيث عبر عن هذا في قوله:"وما كدت أغادر المدرسة،حتى أوصيت بك الرفقاء وما كنت لأظنهم مقصرين في العناية بك لما لاحظته عليك من سمات الذكاء والنجابة" .

ومن خلال هذه الرسالة بين طرق إصلاح التربية ولم يكتفي بهذا فقط بحيث نجده يعالج موضوعا آخر يعد من شروط التربية أيضا وهو: الإعلاء من شأن المربي أمام تلميذه أي إحساس الاحترام وهذا يبدأ بالوالدين بالدرجة الأولى،ولتوضيح نعرض مقطع من الرسالة بعنوان:حضرة السيد المحترم يقول"..صرح قائلا:نهرني الأستاذ لتقصيري في عمل أمرني به،فأسأت الأدب معه ولذا طردني فقلت له ويحك أيها الولد الشقي،أتجرؤ على الإساءة إلى أستاذك الذي يعلمك ويربيك ولا يريد لك إلا رشادا وصلاحا؟إن انتهاره إياك إمنا هو لمصلحتك..."[2] .

ومن سلبيات بعض الأولياء الوقوف إلى جانب أبنائهم والتقليل من شأن المربي وعدم بث الاحترام في نفس الأبناء، وهذا خطأ فادح في التربية والتعليم،فهذه الرسالة بمثابة إصلاح لنظرة الخاطئة،لأنّ المربي هو أعلم بصالح تلميذه واحترامه واجب ونجد قاسم أمين يتحدث عن هذا في قوله"إحساس الاحترام هو محك التربية،فكلما كان ناميا في أمة كانت تربيتها جيدة وإذا فقد كان فقدانه انذرا بانحلال وسقوط عظمتها"[3].

ومن خلال المحتوى الموضوعي للرسائل اتخذ الكاتب من موضوع إصلاح التربية موضوع جدّي لأنّها الوسيلة كما "اتخذ ابن باديس كذلك التربية وسيلة للإصلاح الثقافي والاجتماعي والسياسي لأنّ الأهداف التربوية عنده تشمل ذلك كلّه"[4] ،واستقى الكاتب ذلك من صلب الواقع

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص72.

[2] المصدر نفسه،ص 39.

[3] قاسم أمين،الأعمال الكاملة،تح:محمد عمارة،دار الشروق،القاهرة،ط2،(دت)،ص200.

[4] عمّار الطالبي،آثار ابن باديس،مج2:ج2،ص99.

وعبر عنه بكلّ وضوح لأنّ الإصلاح لا يكون إلا للمناهج والطرق بل يجب أن يؤخذ من الواقع والتجارب لا النظريات وهذا ما ركز عليه .

ثانيا:التعليم

التعليم ينشر في الأمة الحياة ويبعثها على العمل ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الإنساني ويظهر كيانها بين الأمم[1]،والتعليم يقوم على محورين أساسيين هما:المعلم والمتعلم ولكي يتحقق التعليم يجب توافر شروط في كليهما.

لقد اهتم بوحميدة من خلال موضوعات رسائله،بالمعلم والمتعلم وجعل وجه الإصلاح فيهما يكمن في عدّة شروط،فأما عن شروط المعلم فهي التواضع والإخلاص والتفاني والنزاهة فكلّ هذه الصفات تجعل من المعلم المثال الأعلى.

ويركز بوحميدة على إصلاح المعلم في قوله:"وما أظن أحدا ينكر فضلكم أو يبخل عنكم بالثناء عندما يتحدثون عن التواضع والإخلاص والتفاني في أداء الواجب،لا حبا في الإطراء ولا رغبة في الحصول على المنصب العالي والراتب المرتفع،...ولاشك أنكم بذلك تقدمون لغيركم من الأساتذة والمعلمين أصدق مثال في التضحية والنزاهة .." [2].

ويعد هذا المقطع نموذج في الإصلاح حيث جعل التضحية والنزاهة هي من الصفات التي يَصلُح بها المعلم ويُصلِح بها،فصورة الإصلاح تكمن في رغبة المعلم في "تكوين جيل صالح يشرف أهله ويعود على وطنه بخير النتائج". فالكاتب يريد الوصول إلى نتيجة وهي أن لا وجود لهدف تكوين جيل صالح إلا بصلاح المعلم وإخلاصه وتفانيه .

وفي نفس السياق نلحظ إصلاح آخر للمعلم وهو تمكنه من أساليب التعليم الناجح ونجد هذا في رسالة بعنوان:سيدي الأستاذ "..كل هذا بفضل حرصكم عليه أولا ثم تمكنكم من أساليب التعليم الناجح،لست اعرف كيف أشكركم على الجهود الكبيرة التي جدتم بها لصالح ولدي هذا،ولا ريب أنكم تبذلون مثلها لرفع مستوى أبناء وطننا العزيز..."[3] فالحرص والتمكن وجهين لعملة واحدة وهي صلاح المتعلم وبالتالي التعليم .

---

[1] ينظر:عمار الطالبي،آثار ابن باديس،ص359.

[2] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 9.

[3] المصدر نفسه،ص 53.

لقد كرر الكاتب كلمة "وطننا " عندما تحدث عن المعلم،وهذا يعد قرينة على حب الكاتب لوطنه وعلمه الكبير بمكانة المعلم ودوره الفعال في ارتقاء الوطن.

أما عن إصلاح المتعلم فكذلك كان للكاتب وجهة رأي حيث يقول في رسالة بعنوان:إلى الطالب النجيب"..بطلب رأي فيما يجيش بخاطرك وهو الانتقال من شعبة العلوم إلى شعبة الأدب ...إن الأمر مرهون بميلك الذهني أكثر منه برغبتك.." [1].

يصور الكاتب صورة المتعلم الذي يهتم بميوله ورغباته مع الحرص على التأكد من هذا بسؤال المعلم،هذا وجه آخر لإصلاح التعليم حيث البحث عن التوجيه والتخصص في العلم هو إصلاح لمسار المتعلم بحيث يتفادى المشاكل،ونجد رسالة أخرى بعنوان:حضرة السيد أبي القاسم يقول:"..لقد ذكر لي أنه يريد الالتحاق بشعبة الرياضيات لتمكنه من هذا العلم الخطير،ولكنه اصطدم بمعارضكم.وإن المسألة ليست مسألة اختيار بين هذا العلم وذاك،وما هي بمجرد توجيه عفوي يقوم به الوالد حسب إرادته وهواه،إنما هي الميل الذهني "[2] ؛فالكاتب يركّز على الميل الذهني لأنّه زاد المتعلم وأساس العملية التعليمية ما ينذر بالتفاني والاتقان على الصعيد المهني مستقبلا.

لقد أراد الكاتب أن يعالج موضوعات الإصلاح التعليمي بحيث يخرج نماذجها من الواقع ويعالجها حسب طريقته وآرائه،وساعده في ذلك شخصيته المصلحة التي لا تقبل الأمور بمظاهرها فهو يكتب للقارئ باختلاف مقامه ليصلحه بأسلوب مباشر لا تكلّف.

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص 13.

[2] المصدر نفسه،ص31.

ثالثا:شروط الكتابة:

الكتابة وسيلة للتعبير عما يجول في الذهن والخاطر،وعدم استوائها يعني خلل الأفكار وحتى شخصية الكاتب.

لذلك جعل الكاتب لشروط الكتابة نصيباً،ولأنّه يرى كلّ أداة ترتبط بالعلم لابد لها من إصلاح حيث نجده يعدّد شروط الكتابة "..فأول ما أرشدك إليه هو تمكنك من اللغة وقواعدها،ولا يتسنى لك ذلك إلا بالمطالعة الجادة المستمرة ثانيا قيامك بمحاولات قصيرة تعرضها على أحد الأساتذة"[1]، فهو يرشد الكاتب المبتدئ لأن يرتقي بمؤلفاته ولا يكون هدفه فقط كسب الشهرة والجاه؛فوجه الإصلاح هنا يكمن في شروط الكتابة الناجحة،لأنّ الكتابة السيئة تهوي بالكتاب والكاتب معا في جوف السخرية .

ثم نجد رسالة أخرى تعبّر عن صلة المؤلف بمؤَلَفه وماذا يعني له،حيث يقول"..إن قيمة الكتاب المعنوية وحدها كافية لحفز الكاتب إلى الكتابة وتحبيذها له،ألا ترى تلك المؤلفات الجيدة ...فلم يكن لكل مؤلفيها غرض مادي،ولولا إرادة النفع والإفادة ما كانوا ليكتبوا حرفا واحدا .."[2] تعد هذه الرسالة،رسالة إلى كلّ قارئ لا يعرف قيمة الكتاب وما يعانيه المؤلف كي يصل إلى أيدينا ،قد نتساءل عن الإصلاح هنا؟نعم يوجد إصلاح،فإصلاح رؤية القّراء يعدّ إصلاح في الصميم،فغرض الكاتب ليس الماديات بل النفع والإفادة.

وفي نفس الموضوع نجد رسالة أخرى تعالج مشاكل الكتاّب،فهي مبعوثة لجهة رسمية وتعدّ إصلاح فكري،هذه محاولة إصلاح لحالة الكتّاب من جهة وتوجيه نقد من جهة أخرى للمؤسسات لاهتمامها بالكتابات الرفيعة"هناك مؤسسات تنشط في هذا الميدان ولكنها لا تهتم بالجيد الرفيع اهتمامها بالرائج المربح وإن كان تافها واهيا"[3].

[1] إبراهيم بوحميدة،المصدر السابق،ص44.

[2] المصدر نفسه،ص 65.

[3] المصدر نفسه ،ص122.

لقد استطاع بوحميدة أن ينوّع من الموضوعات الإصلاحية،ويحوّل النظرة البسيطة عنها لتكون قضية مهمة تستحقّ المعالجة والإصلاح وكان ذلك بلغة بسيطة مألوفة.

إن أهم النتائج التي وقفنا عليها أثناء سيرنا في هذا البحث ما يلي :

-لقد حافظ فن الرسالة في عصرنا الحالي على بعض خصائصه القديمة واستحدث بعضا منها وألغى بعضها الأخر .

-ظلت الرسائل على مرّ كل العصور تحمل قضايا الفكر والمجتمع.

-من خلال دراسة معمارية رسائل إبراهيم بوحميدة اكتشفنا أشكال وصيغ أصبح متعارف عليها،وأخرى مستحدثة تظهر مدى الاهتمام بالنص أولا،والمتلقي ثانيا والأهم أنّها إضافة في حقل الأدب وفن الرسائل بالتحديد.

-عمد الكاتب إلى إنارة رسائله بأنوار كتاب الله عز وجل والحديث الشريف لإبراز الموروث الديني وإكساب الرسائل طابعا فنيا ما زاد من رونق وصحة الكلام،وقد وظف التضمين بدون أن يبالغ فيه خشية إثبات المقولة التي مفادها الشعر يزيد من قيمة النثر.

-وما وقفنا عليه أيضا في محطاتنا هو الاعتماد على تضمين الأمثال على حساب الشعر لعمومية جمهور المثل،وخصوصية جمهور الشعر.

-طريقة الكتابة كانت سهلة وواضحة هدفها كان أسمى من تحقيق المتعة الفنية،وهذا لا ينفى توظيف الكاتب لبعض الصور البيانية من تشبيه واستعارة دون الابتعاد عن هدف التعبير.

-إن خاصية التعزية تجلت عند الكاتب في البكاء على فَقْد الأفكار النيرة والأخلاق الحميدة وليس على الأشخاص بعينهم .

-لقد استطاع إبراهيم بوحميدة أن ينوع من الموضوعات الإصلاحية،ويحوّل النظرة البسيطة عنها جاعلا منها قضية مهمة تستحق المعالجة والإصلاح .

-وجدنا أنّ الإصلاح كان جذريا بدأه من الأسرة الصغيرة،فالكبيرة،فالمدرسة،فالعمل،فالإدارة،فالوزارة .

وكاقتراحات لعناوين قد تهم الباحثين وهي كالآتي:

-البعد الاجتماعي في كتاب خواطر لإبراهيم بوحميدة .

-دراسة لغوية لديوان رشفات وهو شعر تعليمي.

-تحقيق قصائد أهمها "تحفة الطالب"،"سيد الورى".

وفي النهاية نرجو السداد والتوفيق وإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا التي تصيب حينا وتخطئ أحيانا.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ/المصادر:

-إبراهيم بوحميدة،الفصيح في فن المراسلة،دار النجاح للكتاب،الجزائر،دط،2008.

ب/المراجع:

- ابن منظور ،لسان العرب،دار صادر،بيروت،(دط)،(دت)،ج11.
- أبو القاسم سعد الله ،دراسات في الأدب الجزائري الحديث،دار الرائد ،الجزائر،ط5، 2007.
- أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق،تحقيق:إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر،بيروت،ط1،1998.
- أبي حسين مسلم النيسابوري،صحيح مسلم،دار طيبة،الرياض،ط1،2006 .
- أبي هلال العسكري،الصناعتين،تحقيق:محمد البجاوي و آخر،دار الفكر العربي،القاهرة،ط2،1971.
- أحمد مختار عمر،اللغة واللون،عالم الكتب،القاهرة،ط2 ،1997.
- أحمد الميداني،مجمع الأمثال،تحقيق:محي الدين عبدالحميد،مطبعة السنة المحمدية،(دب)،1955.
- أحمد الهاشمي،جواهر الأدب،المكتبة التجارية الكبرى،مصر،ط1،1969 .
- القلقشندي،صبح الأعشى،دار الكتب المصرية،القاهرة،ط1، 1922.
- جابر قميحة،أدب الرسائل في صدر الإسلام،دار الفكر العربي،القاهرة،ط1، .1986.
- جميل إبراهيم علوش،الفصول في الكتابة الأدبية،، مكتبة المجتمع العربي،عمان،ط1، 2003.
- حسين نصار،نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي،مكتبة الثقافة الدينية،ط1،2002.

– خليل هنداوي و آخرون،الرائد في الأدب العربي،المطبعة الهاشمية،دمشق،ط1، 1948.

– داود غطاشة الشوابكة وآخر،دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية،دار الفكر،عمان،ط 1،2009.

– زكي مبارك،النثر الفني في القرن الرابع،مطبعة السعادة،مصر،ط2،1957.

– شاكر البتلوني،دليل الهائم في صناعة الناثر و الناظم،المطبعة الأدبية،بيروت،ط2، 1890.

– صالح بن رمضان،الرسائل الأدبية،دار الفارابي،بيروت ،ط2،2007.

– طاهر توات،أدب الرسائل في المغرب العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط2،2010.

– عبد الله الركيبي،تطور النثر الجزائري الحديث،دار الكتاب العربي،الجزائر،ط2،2009.

– عبد الملك بومنجل،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي،بيت الحكمة،الجزائر،ط1،2009.

– عمّار الطالبي،آثار ابن باديس،الشركة الجزائرية،الجزائر،ط3، 1997.

– عمر بن قينة،في الأدب الجزائري الحديث،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، ط2،2009.

– عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي،دار العلم،بيروت،ط4،1981.

– فايز عبد النبي فلاح القيسي،أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس للهجري،دار البشير،عمان،ط1، 1989.

– فهد خليل زايد،الكتابة فنونها و أفنانها،دار يافا العلمية،عمان،ط1، 2009.

– قاسم أمين،الأعمال الكاملة،تحقيق:محمد عمارة،دار الشروق،القاهرة،ط2،(دت).

– محمد مسعود جبران ،فنون النثر الأدبي في آثار ابن الخطيب،دار المنار الإسلامي،لبنان،ط1،2004.

– محمد مصايف،النثر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،دط،1983.

–رفاعةرافع الطهطاوي،الأعمال الكاملة،تحقيق:محمد عمارة،دار الشروق،القاهرة،(دط)،2010.

–محمود عبد الرحيم صالح،فنون النثر في الأدب العباسي،عمان،ط1، 2011.

ج/الرسائل الجامعية:

– عبلة فلاح،إبراهيم بوحميدة أديبا،ماستر(مخطوط)،جامعة غارداية،غارداية،2013/2012.

الملحق الأول:التعريف بالكاتب إبراهيم بوحميدة

صورة–1–للأديب إبراهيم بوحميدة

أولا:نبذة عن حياته

هو إبراهيم بن زيان بن إسماعيل من أسرة هاشمية،ولد خلال 1919 ببلدية ضاية بن ضحوة غارداية[1]،أخذ مبادئ اللغة العربية عن والده زيان وأخيه الأكبر إسماعيل ثم أخد عن الأستاذين محمد الأخضر الفيلالي ومحمد الصالح النقطاوي علوم اللغة والفقه المالكي والفرنسية،فتمسك الأستاذ بوحميدة بدينه وأخلاقه الكريمة وحبه لوطنه .

[1] لقاء مع ابن الأديب:فيصل بوحميدة على الساعة 17:00 ،يوم 2017/04/04

درس اللغة الفرنسية بإحدى المدارس الفرنسية إبان الفترة الاستعمارية،كما حصل على الشهادة الابتدائية سنة1932م،ثم واصل دراسته بطريقة عصامية بحتة فباشر التعليم الحر طيلة 18سنة،ومن بين المدارس التي عمل فيها مدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة حيث تولى إدارتها بين سنتي 1950م و1952م،ثم قدم استقالته بعد ذلك،وعاد ليواصل التعليم الحر سنة1963م،حيث أنشأ مدرسته تحت تهديدات السلطة الاستعمارية،وفي نفس السنة أصدر الرئيس بن بلة قرار الإدماج في التعليم الرسمي،فشارك الأستاذ إبراهيم أبوحميدة في امتحان إثبات المستوى الثقافي،وفاز فيه فوزا باهرا،عين بعده أستاذ في التعليم الثانوي،ثم شارك بعده في امتحان الدخول الجامعي وكان النجاح حليفه حيث كان ذلك بين سنتي(1963و1964 م)،لكن الظروف لم تمكنه من إتمام الدراسة فدرس العامين الأولين بعدما منح شهادة الكفاءة لممارسة مهنة التعليم الثانوي.

حيث تدرج في عمله كمدرس أولا بمعهد الحراش ثم ثانوية عقبة بن نافع بالعاصمة بقي فيها لمدة تسع سنوات كاملة،ثم عاد إلى مسقط رأسه غارداية وعمل في ثانوية محمد الأخضر الفيلالي التي دَرَّس فيها لمدة إحدى عشرة سنة.

إضافة إلى كونه أستاذا بارعا فهو أيضا أديب وكاتب وشعر،فقد كتب للإذاعة المركزية روايات وقصص عديدة،كما كتب عدة مقالات وهي منشورة في جريدتي "الأسبوع التونسية"و"منبر الشعب"المغربية،إضافة إلى جرائد أخرى وهي:"الشعب"و"المساء"و"المجاهد"و"الخبر"و"الأصيل"و"الواحة"ومجلة "آفاق"القطرية...وهو أيضا من هواة الرسم الجميل فقد حصل على شهادات معتبرة من وزارتي التربية والثقافة.

كان للأستاذ إبراهيم بوحميدة دور كبير في العمل الثوري،تجلى ذلك في صدقه وإخلاصه وغيرته الشديدة على وطنه،ومشاركته الفعالة في الحرب التحريرية من 1955/01/01 إلى 1962،حيث كان عضوا في لجنة الدراسة ومراقبة ملفات الثورة تحت اسم (سليم)،كما كان الأستاذ خطيبا في مظاهرات 11ديسمبر ولم يخف من المستعمر لأنه سعى لتحقيق واجبه نحو وطنه،هذا الواجب نابع من قلب مؤمن وقناعة تمتد أواصرها بكتاب الله،فهو يهتم بالقضايا القومية السياسية وأبعادها الاجتماعية من استبداد الحكام،وثورات التحرير،والحث على مواصلة النضال،والتغني بالحرية وتمجيد الأبطال.

فالقومية العربية في حد ذاتها رسالة نابعة من وجدان أمة،ولذلك فلابد من إقامة حدود للاستقلال الذي كان الأستاذ يؤمن به.

ثانيا:مرجعياته

اطلع الأديب إبراهيم بوحميدة على مجموعة من المؤلفات من بينها ألفية ابن مالك ومؤلفات ابن هشام،المنفلوطي،أبو حامد الغزالي ومحمد الغزالي.

أما بالنسبة لعلاقاته الأدبية كانت في غالبها تجمعه مع الأدباء الذين احتك بهم في الثانوية والجامعة كما يقول:"لم أعرف غير محمد الأخضر السائحي ومحمد الطاهر الفضلاء "المخرج الذي قام بإخراج عدد من رواياته التمثيلية.

يتخذ الأستاذ الأخلاق مرجعية يلتزم بها،فالمعايير الأخلاقية نفسها تتمايز بين المجتمعات حسب الأفكار والأعراف التي تحكمها،يقول:"أعتمد على ما يفيد شعرا كان أو نثرا بعيدا عما يخالف الأخلاق والآداب النزيهة الهادفة".

ثالثا:أعماله:

للأستاذ إبراهيم بوحميدة أعمال كثيرة أدبية ولغوية،وهذا راجع إلى إيمانه بأن الأديب يحمل رسالة ومسؤولية تجاه مجتمعه ووطنه،والأدب في منظوره لا يكتمل إلا من خلال رسالة يحملها ومسؤولية،فالله سبحانه خلق الإنسان ليؤدي رسالة خلق من أجلها.

ومن بين هذه الأعمال الأدبية نذكر منها ما يلي:

ما طبع في لبنان :

-كتاب الأخلاق.

-كتاب منتقيات.

ما طبع في الجزائر:

-الفصيح في فن المراسلة (دار النجاح 2008).

-متى تتجاوب الغرائز؟(1986مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية).

-تعابير وترجمة.

-خواطر(مؤسسة الضحى 1999).

-المفيد في البلاغة(موفم للنشر 2010).

-رشفات.

-ضاية بن ضحوة تاريخا(مطبعة الآفاق 2010).

أما بالنسبة لكتاباته الإذاعية والتي يبلغ عددها الإجمالي أكثر من أربعين إنتاجا ما بين روايات تمثيلية وقصص ومقالات وقصائد شعرية وأناشيد فنية نذكرها ببعض من التفصيل:

الروايات:

-عبرات وعبر.

-من غرائب الصدف.

-أمل وابتسام.

عبقرية ونضال.

القصص:

-النهج القويم.

-خير السبل.

-أنا عربي.

القصائد:

-رسول العالمين .

-تحية الطالب.

-اليوم الخالد.

-صرخة من بعيد.

-مع غزة .

-لك يا قدس.

-سيد الورى.

-من إلهام فاتح نوفمبر.

-خامس يوليو العظيم.

-افتخار.[1]

وقد وافت المنية روح الكاتب المعطاء –تغمده الله تعالى برحمته–بمسقط رأسه ضاية بن ضحوة في الثاني والعشرين من شهر أكتوبر في السنة الرابعة عشر بعد الألفين للميلادي.

[1] ينظر:عبلة فلاح،إبراهيم بوحميدة أديبا،ماستر(مخطوط)،جامعة غارداية،غارداية،2013/2012،ص(8، 9، 10، 11).

الملحق الثاني:بعض النماذج من كتاب الفصيح في فن المراسلة لإبراهيم بوحميدة

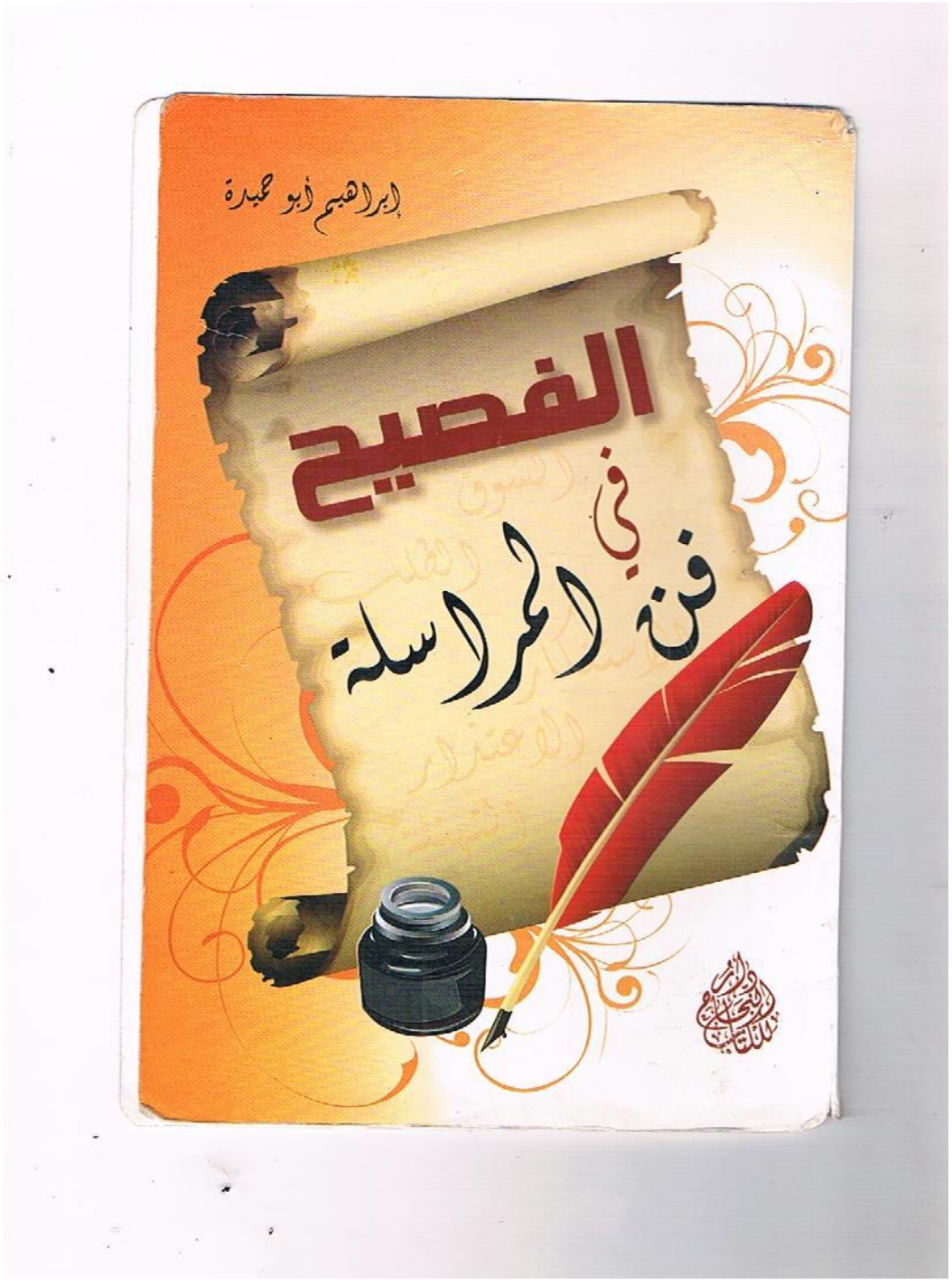

صورة-2-توضـــــح غلاف الكتاب

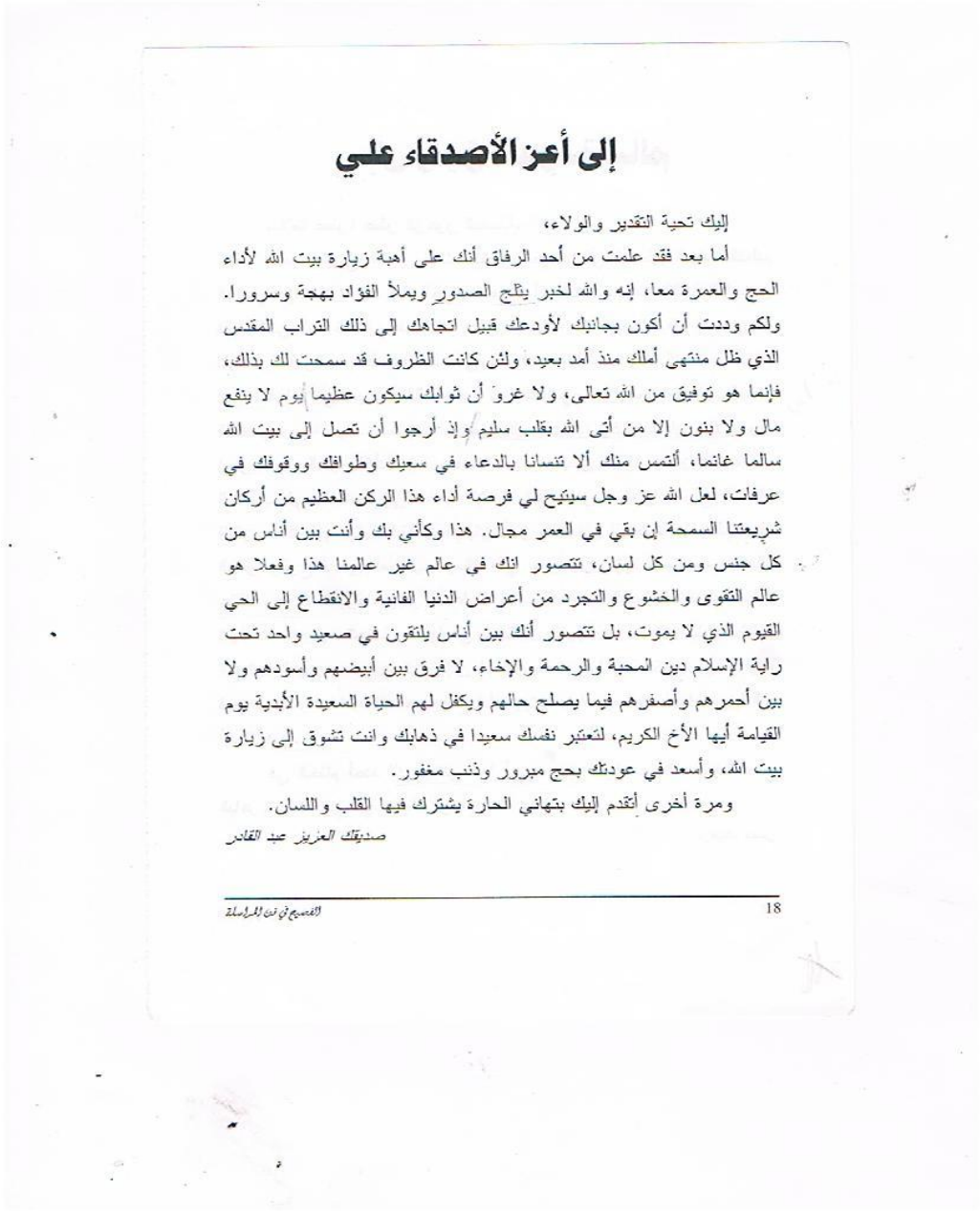

إلى أعز الأصدقاء علي

إليك تحية التقدير والولاء،

أما بعد فقد علمت من أحد الرفاق أنك على أهبة زيارة بيت الله لأداء الحج والعمرة معا، إنه والله لخبر يثلج الصدور ويملأ الفؤاد بهجة وسرورا. ولكم وددت أن أكون بجانبك لأودعك قبيل اتجاهك إلى ذلك التراب المقدس الذي ظل منتهى أملك منذ أمد بعيد، ولئن كانت الظروف قد سمحت لك بذلك، فإنما هو توفيق من الله تعالى، ولا غروَ أن ثوابك سيكون عظيما يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وإذ أرجوا أن تصل إلى بيت الله سالما غانما، ألتمس منك ألا تنسانا بالدعاء في سعيك وطوافك ووقوفك في عرفات، لعل الله عز وجل سيتيح لي فرصة أداء هذا الركن العظيم من أركان شريعتنا السمحة إن بقي في العمر مجال. هذا وكأني بك وأنت بين أناس من كل جنس ومن كل لسان، تتصور انك في عالم غير عالمنا هذا وفعلا هو عالم التقوى والخشوع والتجرد من أعراض الدنيا الفانية والانقطاع إلى الحي القيوم الذي لا يموت، بل تتصور أنك بين أناس يلتقون في صعيد واحد تحت راية الإسلام دين المحبة والرحمة والإخاء، لا فرق بين أبيضهم وأسودهم ولا بين أحمرهم وأصفرهم فيما يصلح حالهم ويكفل لهم الحياة السعيدة الأبدية يوم القيامة أيها الأخ الكريم، لتعتبر نفسك سعيدا في ذهابك وانت تشوق إلى زيارة بيت الله، وأسعد في عودتك بحج مبرور وذنب مغفور.

ومرة أخرى أتقدم إليك بتهاني الحارة يشترك فيها القلب واللسان.

صديقك العزيز عبد القادر

صورة–3–توضح رسالة بعنوان "إلى أعز الأصدقاء علي "

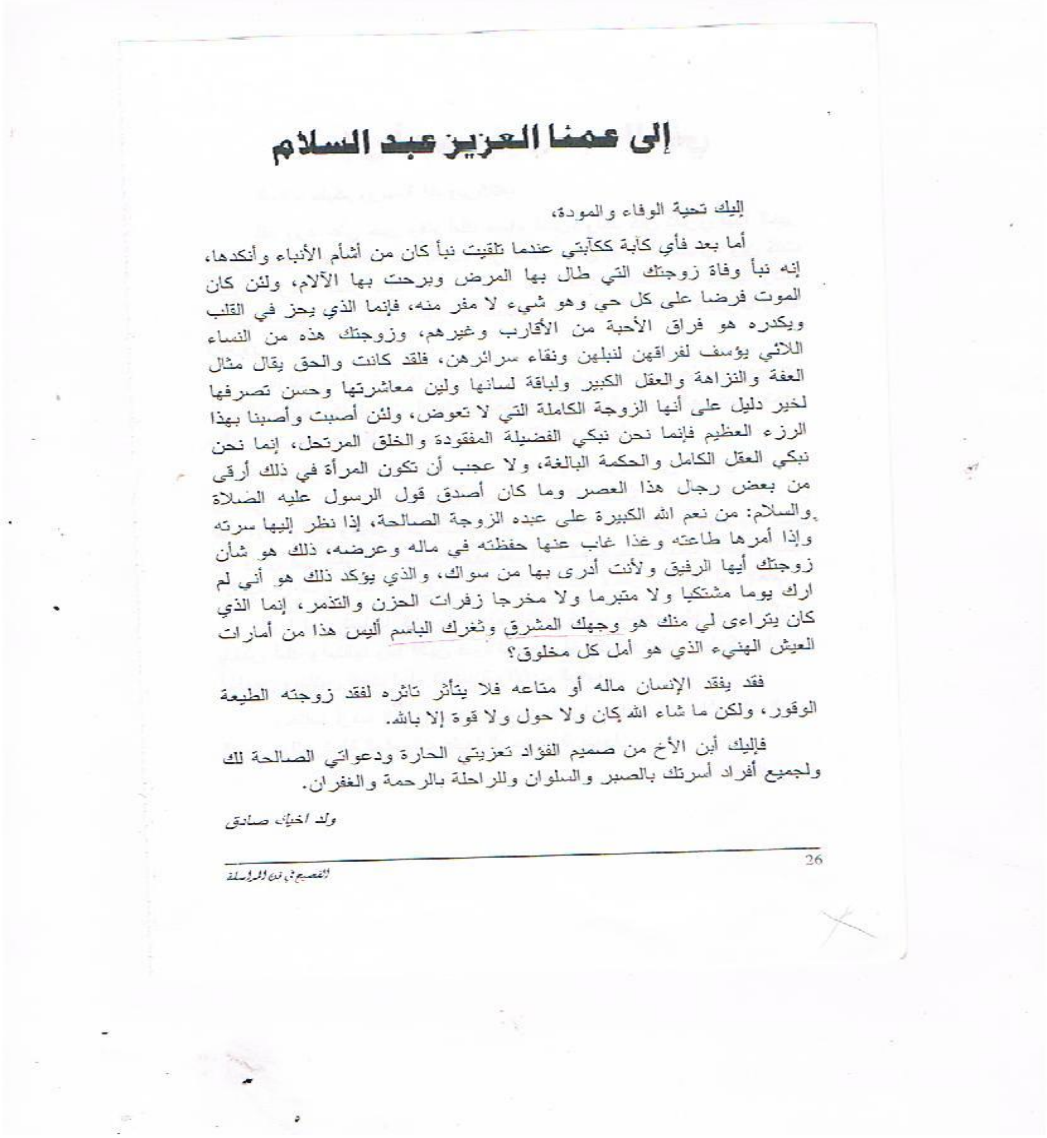

إلى عمنا العزيز عبد السلام

إليك تحية الوفاء والمودة،

أما بعد فأي كآبة ككآبتي عندما تلقيت نبأ كان من أشأم الأنباء وأنكدها، إنه نبأ وفاة زوجتك التي طال بها المرض وبرحت بها الآلام، ولئن كان الموت فرضا على كل حي وهو شيء لا مفر منه، فإنما الذي يحز في القلب ويكدره هو فراق الأحبة من الأقارب وغيرهم، وزوجتك هذه من النساء اللائي يؤسف لفراقهن لنبلهن ونقاء سرائرهن، فلقد كانت والحق يقال مثال العفة والنزاهة والعقل الكبير ولباقة لسانها ولين معاشرتها وحسن تصرفها لخير دليل على أنها الزوجة الكاملة التي لا تعوض، ولئن أصبت وأصبنا بهذا الرزء العظيم فإنما نحن نبكي الفضيلة المفقودة والخلق المرتحل، إنما نحن نبكي العقل الكامل والحكمة البالغة، ولا عجب أن تكون المرأة في ذلك أرقى من بعض رجال هذا العصر وما كان أصدق قول الرسول عليه الصلاة والسلام: من نعم الله الكبيرة على عبده الزوجة الصالحة، إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها طاعته وغذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه، ذلك هو شأن زوجتك أيها الرفيق ولأنت أدرى بها من سواك، والذي يؤكد ذلك هو أني لم ارك يوما مشتكيا ولا متبرما ولا مخرجا زفرات الحزن والتذمر، إنما الذي كان يتراءى لي منك هو وجهك المشرق وثغرك الباسم أليس هذا من أمارات العيش الهنيء الذي هو أمل كل مخلوق؟

فقد يفقد الإنسان ماله أو متاعه فلا يتأثر تأثره لفقد زوجته الطيعة الوقور، ولكن ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فإليك أبن الأخ من صميم الفؤاد تعزيتي الحارة ودعواتي الصالحة لك ولجميع أفراد أسرتك بالصبر والسلوان وللراحلة بالرحمة والغفران.

ولك اخيك صادق

26

التصحيح في فن المراسلة

صورة–4–توضح رسالة بعنوان "إلى عمنا العزيز عبد السلام"

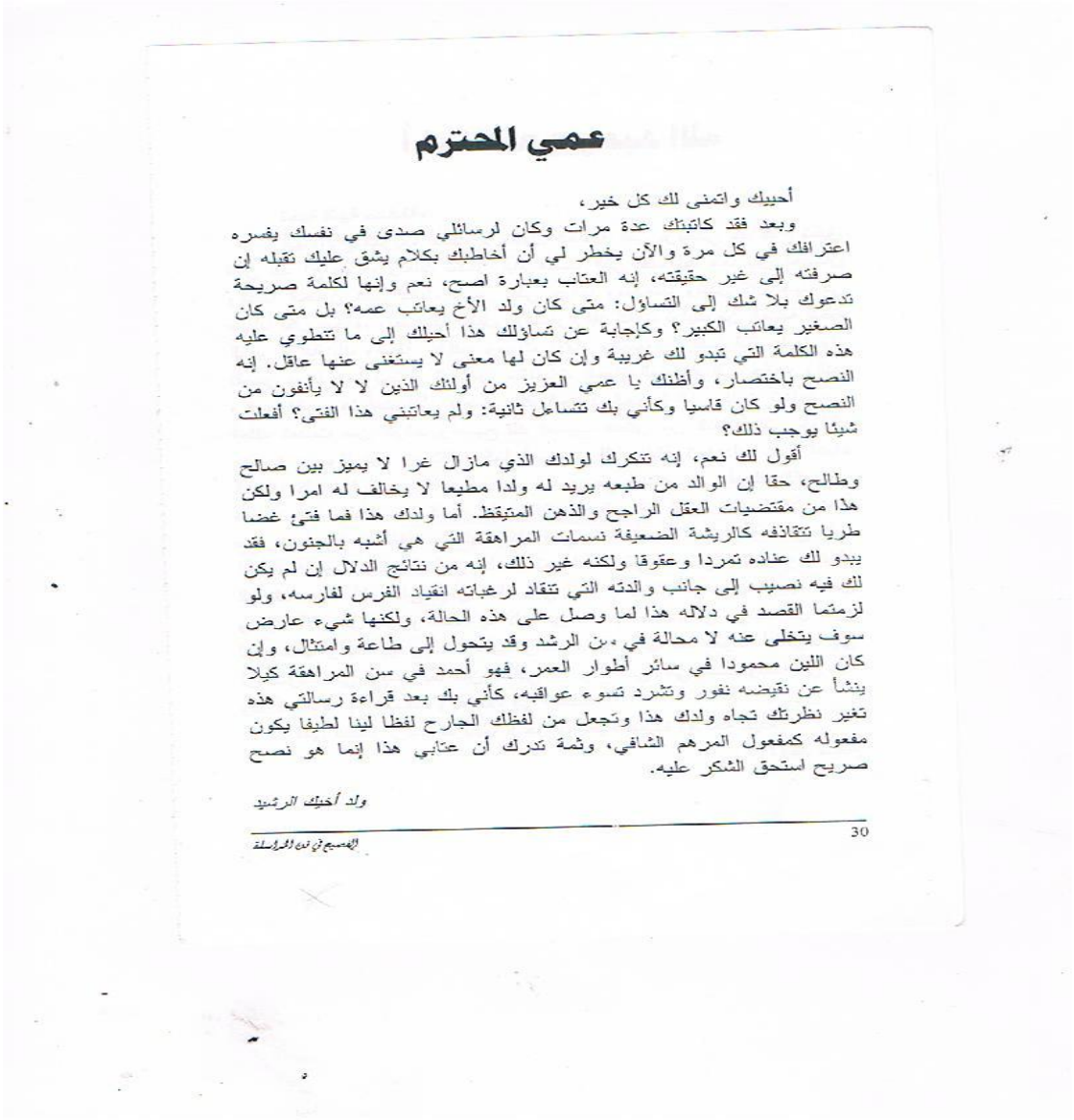

عمي المحترم

أحييك واتمنى لك كل خير،

وبعد فقد كاتبتك عدة مرات وكان لرسائلي صدى في نفسك يفسره اعترافك في كل مرة والآن يخطر لي أن أخاطبك بكلام يشق عليك تقبله إن صرفته إلى غير حقيقته، إنه العتاب بعبارة اصح، نعم وإنها لكلمة صريحة تدعوك بلا شك إلى التساؤل: متى كان ولد الأخ يعاتب عمه؟ بل متى كان الصغير يعاتب الكبير؟ وكإجابة عن تساؤلك هذا أحيلك إلى ما تنطوي عليه هذه الكلمة التي تبدو لك غريبة وإن كان لها معنى لا يستغنى عنها عاقل. إنه النصح باختصار، وأظنك يا عمي العزيز من أولئك الذين لا لا يأنفون من النصح ولو كان قاسيا وكأني بك تتساءل ثانية: ولم يعاتبني هذا الفتى؟ أفعلت شيئا يوجب ذلك؟

أقول لك نعم، إنه تنكرك لولدك الذي مازال غرا لا يميز بين صالح وطالح، حقا إن الوالد من طبعه يريد له ولدا مطيعا لا يخالف له امرا ولكن هذا من مقتضيات العقل الراجح والذهن المتيقظ. أما ولدك هذا فما فتئ غضا طريا تتقاذفه كالريشة الضعيفة نسمات المراهقة التي هي أشبه بالجنون، فقد يبدو لك عناده تمردا وعقوقا ولكنه غير ذلك، إنه من نتائج الدلال إن لم يكن لك فيه نصيب إلى جانب والدته التي تنقاد لرغباته انقياد الفرس لفارسه، ولو لزمتما القصد في دلاله هذا لما وصل على هذه الحالة، ولكنها شيء عارض سوف يتخلى عنه لا محالة في سن الرشد وقد يتحول إلى طاعة وامتثال، وإن كان اللين محمودا في سائر أطوار العمر، فهو أحمد في سن المراهقة كيلا ينشأ عن نقيضه نفور وتشرد تسوء عواقبه، كأني بك بعد قراءة رسالتي هذه تغير نظرتك تجاه ولدك هذا وتجعل من لفظك الجارح لفظا لينا لطيفا يكون مفعوله كمفعول المرهم الشافي، وثمة تدرك أن عتابي هذا إنما هو نصح صريح استحق الشكر عليه.

ولد أخيك الرشيد

30

النصيح في ثوب الرسالة

صورة-5-توضح رسالة بعنوان "عمي المحترم"

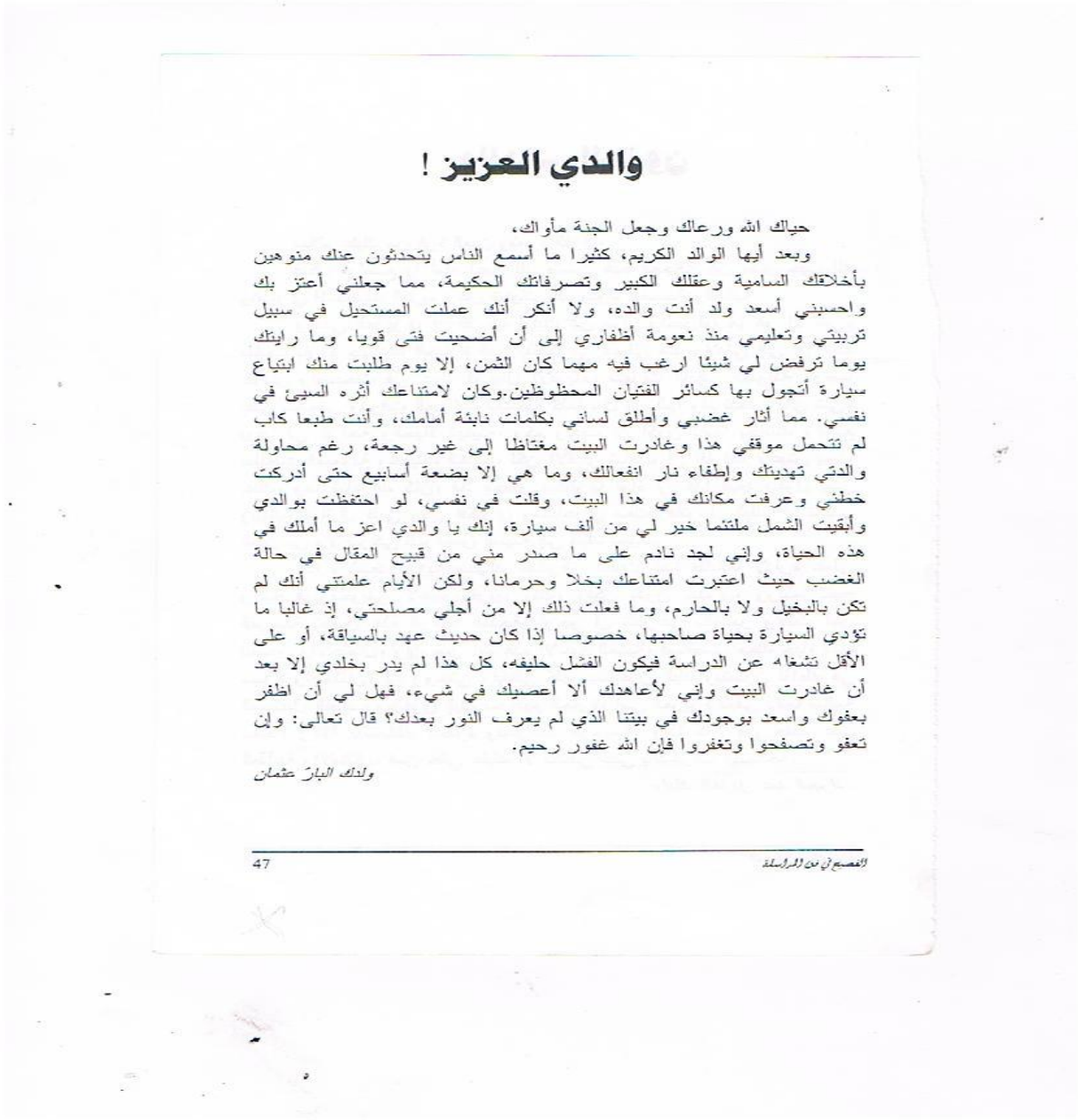

والدي العزيز !

حياك الله ورعاك وجعل الجنة مأواك،

وبعد أيها الوالد الكريم، كثيرا ما أسمع الناس يتحدثون عنك منوهين بأخلاقك السامية وعقلك الكبير وتصرفاتك الحكيمة، مما جعلني أعتز بك واحسبني أسعد ولد أنت والده، ولا أنكر أنك عملت المستحيل في سبيل تربيتي وتعليمي منذ نعومة أظفاري إلى أن أضحيت فتى قويا، وما رايتك يوما ترفض لي شيئا ارغب فيه مهما كان الثمن، إلا يوم طلبت منك ابتياع سيارة أتجول بها كسائر الفتيان المحظوظين.وكان لامتناعك أثره السيئ في نفسي. مما أثار غضبي وأطلق لساني بكلمات نابئة أمامك، وأنت طبعا كاب لم تتحمل موقفي هذا وغادرت البيت مغتاظا إلى غير رجعة، رغم محاولة والدتي تهدينك وإطفاء نار انفعالك، وما هي إلا بضعة أسابيع حتى أدركت خطئي وعرفت مكانك في هذا البيت، وقلت في نفسي، لو احتفظت بوالدي وأبقيت الشمل ملتئما خير لي من ألف سيارة، إنك يا والدي اعز ما أملك في هذه الحياة، وإني لجد نادم على ما صدر مني من قبيح المقال في حالة الغضب حيث اعتبرت امتناعك بخلا وحرمانا، ولكن الأيام علمتني أنك لم تكن بالبخيل ولا بالحارم، وما فعلت ذلك إلا من أجلي مصلحتي، إذ غالبا ما تؤدي السيارة بحياة صاحبها، خصوصا إذا كان حديث عهد بالسياقة، أو على الأقل تشغله عن الدراسة فيكون الفشل حليفه، كل هذا لم يدر بخلدي إلا بعد أن غادرت البيت وإني لأعاهدك ألا أعصيك في شيء، فهل لي أن اظفر بعفوك واسعد بوجودك في بيتنا الذي لم يعرف النور بعدك؟ قال تعالى: وإن تعفو وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم.

ولدك البار عثمان

47 *الأفصح في فن الرسالة*

صورة–6–توضح رسالة بعنوان" والدي العزيز"

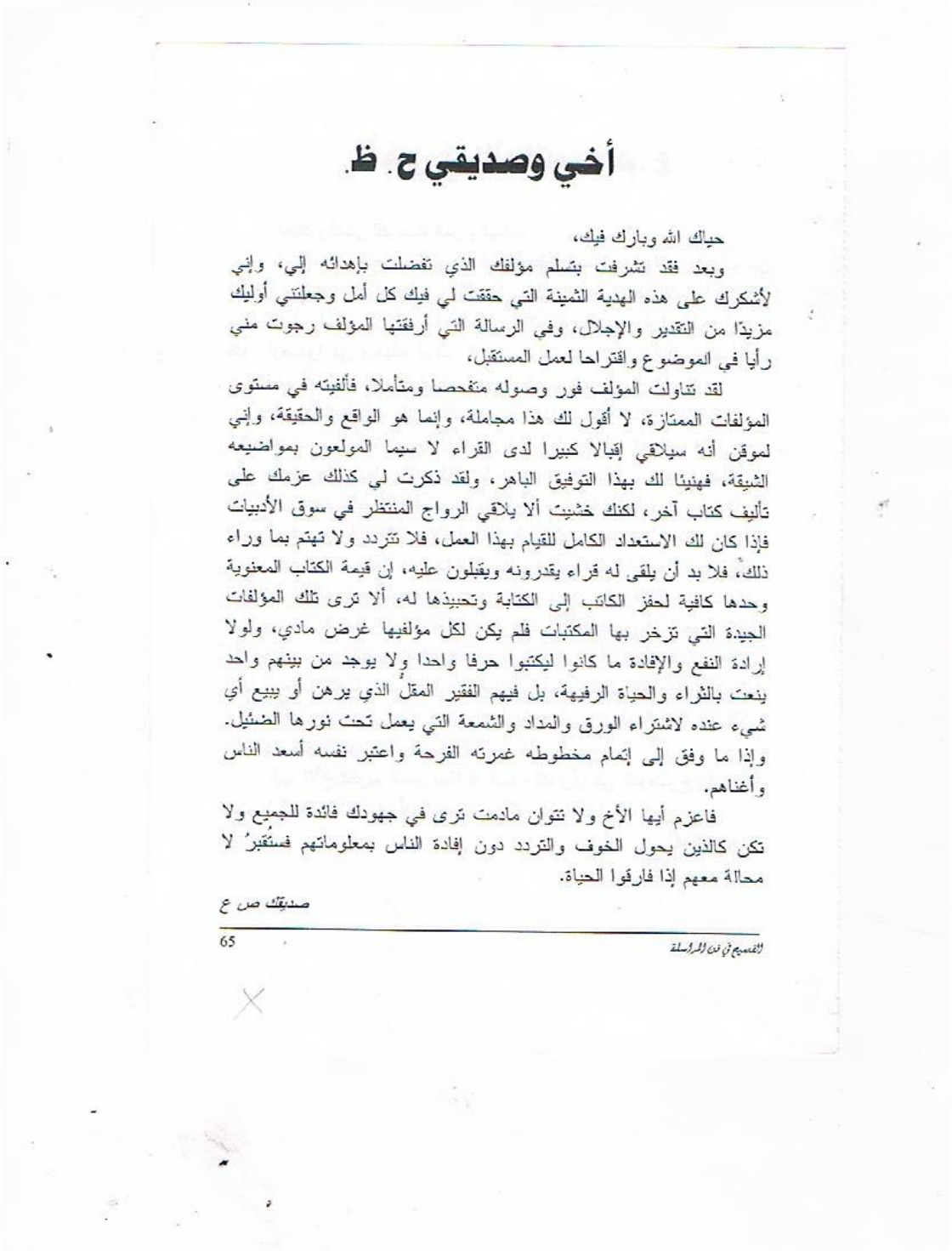

أخي وصديقي ح. ظ.

حياك الله وبارك فيك،

وبعد فقد تشرفت بتسلم مؤلفك الذي تفضلت بإهدائه إلي، وإني لأشكرك على هذه الهدية الثمينة التي حققت لي فيك كل أمل وجعلتني أوليك مزيدًا من التقدير والإجلال، وفي الرسالة التي أرفقتها المؤلف رجوت مني رأيا في الموضوع واقتراحا لعمل المستقبل،

لقد تناولت المؤلف فور وصوله متفحصا ومتأملا، فألفيته في مستوى المؤلفات الممتازة، لا أقول لك هذا مجاملة، وإنما هو الواقع والحقيقة، وإني لموقن أنه سيلاقي إقبالا كبيرا لدى القراء لا سيما المولعون بمواضيعه الشيقة، فهنيئا لك بهذا التوفيق الباهر، ولقد ذكرت لي كذلك عزمك على تأليف كتاب آخر، لكنك خشيت ألا يلاقي الرواج المنتظر في سوق الأدبيات فإذا كان لك الاستعداد الكامل للقيام بهذا العمل، فلا تتردد ولا تهتم بما وراء ذلك، فلا بد أن يلقى له قراء يقدرونه ويقبلون عليه، إن قيمة الكتاب المعنوية وحدها كافية لحفز الكاتب إلى الكتابة وتحبيذها له، ألا ترى تلك المؤلفات الجيدة التي تزخر بها المكتبات فلم يكن لكل مؤلفيها غرض مادي، ولولا إرادة النفع والإفادة ما كانوا ليكتبوا حرفا واحدا ولا يوجد من بينهم واحد ينعت بالثراء والحياة الرفيهة، بل فيهم الفقير المقل الذي يرهن أو يبيع أي شيء عنده لاشتراء الورق والمداد والشمعة التي يعمل تحت نورها الضئيل. وإذا ما وفق إلى إتمام مخطوطه غمرته الفرحة واعتبر نفسه أسعد الناس وأغناهم.

فاعزم أيها الأخ ولا تتوان مادمت ترى في جهودك فائدة للجميع ولا تكن كالذين يحول الخوف والتردد دون إفادة الناس بمعلوماتهم فستُقبرُ لا محالة معهم إذا فارقوا الحياة.

صديقك ص ع

65

صورة–7–توضح رسالة بعنوان "أخي وصديقي ح.ظ"

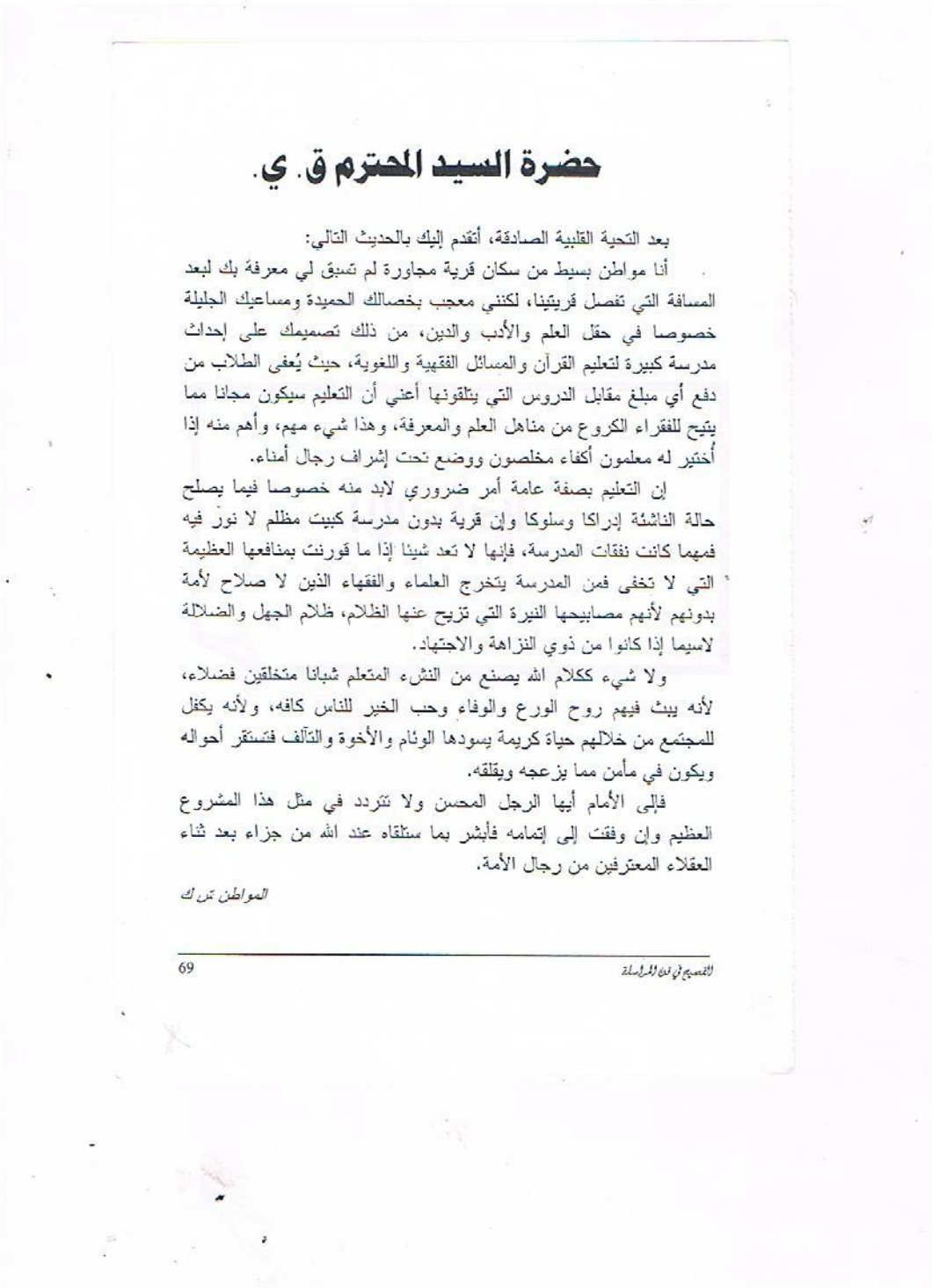

حضرة السيد المحترم ق. ي.

بعد التحية القلبية الصادقة، أتقدم إليك بالحديث التالي:

أنا مواطن بسيط من سكان قرية مجاورة لم تسبق لي معرفة بك لبعد المسافة التي تفصل قريتينا، لكنني معجب بخصالك الحميدة ومساعيك الجليلة خصوصا في حقل العلم والأدب والدين، من ذلك تصميمك على إحداث مدرسة كبيرة لتعليم القرآن والمسائل الفقهية واللغوية، حيث يُعفى الطلاب من دفع أي مبلغ مقابل الدروس التي يتلقونها أعني أن التعليم سيكون مجانا مما يتيح للفقراء الكروع من مناهل العلم والمعرفة، وهذا شيء مهم، وأهم منه إذا أُختير له معلمون أكفاء مخلصون ووضع تحت إشراف رجال أمناء.

إن التعليم بصفة عامة أمر ضروري لابد منه خصوصا فيما يصلح حالة الناشئة إدراكا وسلوكا وإن قرية بدون مدرسة كبيت مظلم لا نور فيه فمهما كانت نفقات المدرسة، فإنها لا تعد شيئا إذا ما قورنت بمنافعها العظيمة التي لا تخفى فمن المدرسة يتخرج العلماء والفقهاء الذين لا صلاح لأمة بدونهم لأنهم مصابيحها النيرة التي تزيح عنها الظلام، ظلام الجهل والضلالة لاسيما إذا كانوا من ذوي النزاهة والاجتهاد.

ولا شيء ككلام الله يصنع من النشء المتعلم شبانا متخلقين فضلاء، لأنه يبث فيهم روح الورع والوفاء وحب الخير للناس كافه، ولأنه يكفل للمجتمع من خلالهم حياة كريمة يسودها الوئام والأخوة والتآلف فتستقر أحواله ويكون في مأمن مما يزعجه ويقلقه.

فإلى الأمام أيها الرجل المحسن ولا تتردد في مثل هذا المشروع العظيم وإن وفقت إلى إتمامه فأبشر بما ستلقاه عند الله من جزاء بعد ثناء العقلاء المعترفين من رجال الأمة.

المواطن بن ك

69 التصحيح في فن المراسلة

صورة–8–توضح رسالة بعنوان "حضرة السيد المحترم ق.ي"

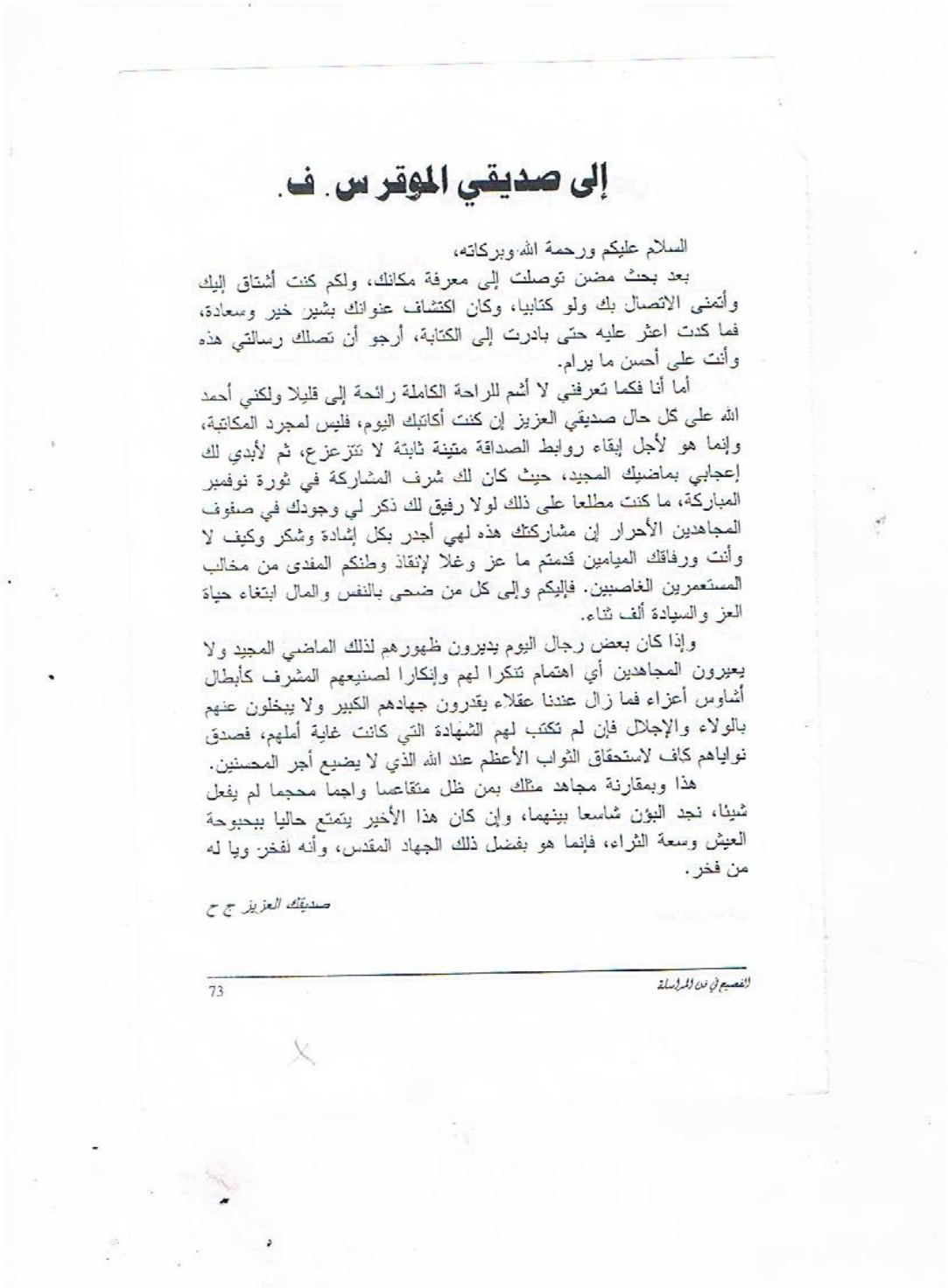

إلى صديقي الموقر س. ف.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

بعد بحث مضن توصلت إلى معرفة مكانك، ولكم كنت أشتاق إليك وأتمنى الاتصال بك ولو كتابيا، وكان اكتشاف عنوانك بشير خير وسعادة، فما كدت اعثر عليه حتى بادرت إلى الكتابة، أرجو أن تصلك رسالتي هذه وأنت على أحسن ما يرام.

أما أنا فكما تعرفني لا أشم للراحة الكاملة رائحة إلى قليلا ولكني أحمد الله على كل حال صديقي العزيز إن كنت أكاتبك اليوم، فليس لمجرد المكاتبة، وإنما هو لأجل إبقاء روابط الصداقة متينة ثابتة لا تتزعزع، ثم لأبدي لك إعجابي بماضيك المجيد، حيث كان لك شرف المشاركة في ثورة نوفمبر المباركة، ما كنت مطلعا على ذلك لولا رفيق لك ذكر لي وجودك في صفوف المجاهدين الأحرار إن مشاركتك هذه لهي أجدر بكل إشادة وشكر وكيف لا وأنت ورفاقك الميامين قدمتم ما عز وغلا لإنقاذ وطنكم المفدى من مخالب المستعمرين الغاصبين. فإليكم وإلى كل من ضحى بالنفس والمال ابتغاء حياة العز والسيادة ألف ثناء.

وإذا كان بعض رجال اليوم يديرون ظهورهم لذلك الماضي المجيد ولا يعيرون المجاهدين أي اهتمام تنكرا لهم وإنكارا لصنيعهم المشرف كأبطال أشاوس أعزاء فما زال عندنا عقلاء يقدرون جهادهم الكبير ولا يبخلون عنهم بالولاء والإجلال فإن لم تكتب لهم الشهادة التي كانت غاية أملهم، فصدق نواياهم كاف لاستحقاق الثواب الأعظم عند الله الذي لا يضيع أجر المحسنين.

هذا وبمقارنة مجاهد مثلك بمن ظل متقاعسا واجما محجما لم يفعل شيئا، نجد البون شاسعا بينهما، وإن كان هذا الأخير يتمتع حاليا ببحبوحة العيش وسعة الثراء، فإنما هو بفضل ذلك الجهاد المقدس، وأنه لفخر وبا له من فخر.

صديقك العزيز ج ح

73 الفصيح في فن المراسلة

صورة–9–توضح رسالة بعنوان "إلى صديقي الموقر س.ف"

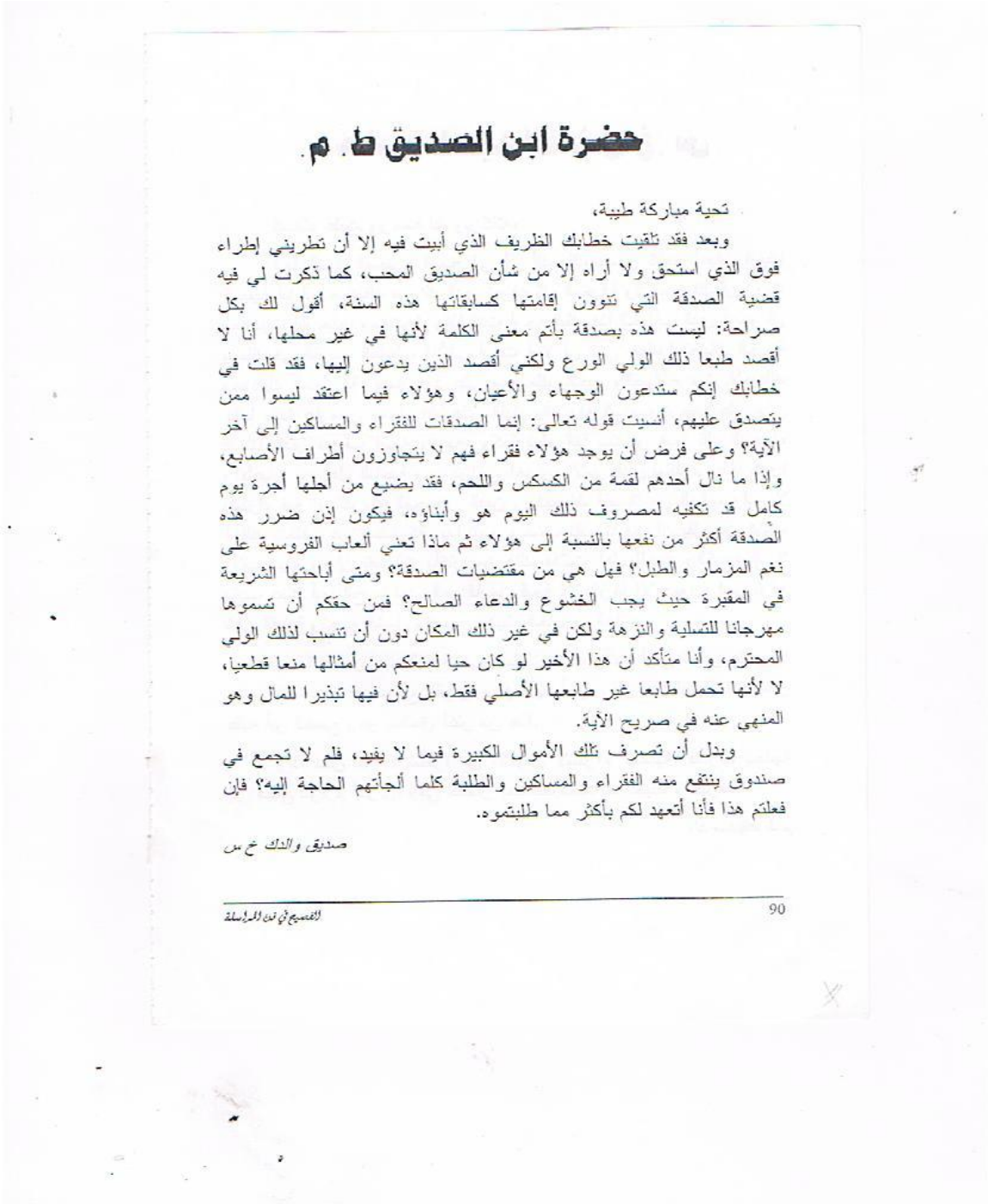

حضرة ابن الصديق ط. م.

تحية مباركة طيبة،

وبعد فقد تلقيت خطابك الظريف الذي أبيت فيه إلا أن تطريني إطراء فوق الذي استحق ولا أراه إلا من شأن الصديق المحب، كما ذكرت لي فيه قضية الصدقة التي تنوون إقامتها كسابقاتها هذه السنة، أقول لك بكل صراحة: ليست هذه بصدقة بأتم معنى الكلمة لأنها في غير محلها، أنا لا أقصد طبعا ذلك الولي الورع ولكني أقصد الذين يدعون إليها، فقد قلت في خطابك إنكم ستدعون الوجهاء والأعيان، وهؤلاء فيما اعتقد ليسوا ممن يتصدق عليهم، أنسيت قوله تعالى: إنما الصدقات للفقراء والمساكين إلى آخر الآية؟ وعلى فرض أن يوجد هؤلاء فقراء فهم لا يتجاوزون أطراف الأصابع، وإذا ما نال أحدهم لقمة من الكسكس واللحم، فقد يضيع من أجلها أجرة يوم كامل قد تكفيه لمصروف ذلك اليوم هو وأبناؤه، فيكون إذن ضرر هذه الصدقة أكثر من نفعها بالنسبة إلى هؤلاء ثم ماذا تعني ألعاب الفروسية على نغم المزمار والطبل؟ فهل هي من مقتضيات الصدقة؟ ومتى أباحتها الشريعة في المقبرة حيث يجب الخشوع والدعاء الصالح؟ فمن حقكم أن تسموها مهرجانا للتسلية والنزهة ولكن في غير ذلك المكان دون أن تنسب لذلك الولي المحترم، وأنا متأكد أن هذا الأخير لو كان حيا لمنعكم من أمثالها منعا قطعيا، لا لأنها تحمل طابعا غير طابعها الأصلي فقط، بل لأن فيها تبذيرا للمال وهو المنهي عنه في صريح الآية.

وبدل أن تصرف تلك الأموال الكبيرة فيما لا يفيد، فلم لا تجمع في صندوق ينتفع منه الفقراء والمساكين والطلبة كلما ألجأتهم الحاجة إليه؟ فإن فعلتم هذا فأنا أتعهد لكم بأكثر مما طلبتموه.

صديق والدك خ س

صورة–10–توضح رسالة بعنوان "حضرة ابن الصديق ط.م"

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ-ج.

تمهيد:.....ص4.

أ/لمحة تاريخية عن أدب الرسائل.....ص5.

ب/أنواع الرسائل.....ص8.

ج/اتجاهات فن الرسالة في العصر الحديث.....ص10.

الفصل الأول:الدراسة الفنية للرسائل.....ص11-33.

المبحث الأول:التعريف بالمدونة.....ص11.

أولا:الغلاف والعنوان.....ص11.

ثانيا:المتن.....ص12.

المبحث الثاني:معمارية الرسائل.....ص19.

أولا:المقدمة.....ص19.

ثانيا:العرض.....ص21.

ثالثا:الختام.....ص22.

المبحث الثالث:اللغة والأسلوب.....ص24.

المبحث الرابع:الاقتباس والتضمين.....ص26.

أولا:الاقتباس.....ص26.

ثانيا:التضمين.....ص31.

الفصل الثاني:تجليات البعد الإصلاحي في رسائل إبراهيم بوحميدة....ص35-61.

المبحث الأول:البعد الاجتماعي.....ص36.

أولا:الأسرة.....ص36.

ثانيا:الصداقة.....ص41.

ثالثا:الإدارة.....ص43.

المبحث الثاني:البعد الديني.....ص44.

أولا:الحج.....ص44.

ثانيا:الطرقية.....ص46.

ثالثا:الجوار.....ص49.

رابعا:إصلاح ذات البين.....ص52.

خامسا:بناء مسجد.....ص54.

المبحث الثالث:البعد التربوي التعليمي.....ص55.

أولا:التربية.....ص55.

ثانيا:التعليم.....ص58.

ثالثا:شروط الكتابة.....ص60.

خاتمة.....ص62.

قائمة المصادر والمراجع.....ص64.

الملاحق:.....ص67-80.

الملحق الأول:التعريف بالكاتب إبراهيم بوحميدة.....ص67.

الملحق الثاني:بعض النماذج من كتاب الفصيح في فن المراسلة...ص72.

فهرس الموضوعات.....ص81-83.